دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أثر القوى القبلية في البحرين في سقوط دولة القرامطة
المصدر:	مجلة الخليج للتاريخ والآثار - جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية - السعودية
المؤلف الرئيسي:	الدامغ، فهد بن عبدالعزيز محمد
المجلد/العدد:	ع 7
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	أبريل
الصفحات:	107 - 178
رقم MD:	490423
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التاريخ الإسلامي، دولة القرامطة، القبائل العربية، البحرين، الصراع السياسي، النزاعات المسلحة، الملوك والحكام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/490423

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أثر القوى القبلية في البحرين
في سقوط دولة القرامطة

د.فهد بن عبدالعزيز الدامغ(*)

المقدمـــة:

تعد دولة قرامطة البحرين من أبرز الكيانات السياسية التي ظهرت في هذا الإقليم، وقد امتد حكمها من سنة ٢٨٦هـ/٤٧٠م حتى سنة ٨٩٩هـ/١٠٧٨م. وتاريخ هذه الدولة يمكن أن يقسم إلى مرحلتين: الأولى تتمثل في بداية نشأتها وحقبة قوتها ونشاطها العسكري الواسع في عهود حكامها الأقوياء، وهذه الحقبة تمتد من قيام دولة القرامطة حتى مطلع الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، وتتميز بوفرة المعلومات عنها، فقد حظيت باهتمام ورصد لأحداثها في المصادر التاريخية. أما المرحلة الثانية، فتتمثل في الحقبة الأخيرة من تاريخ هذه الدولة الممتدة من الربع الأخير من القرن الرابع الهجري حتى مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وهي الحقبة التي شهدت ضعف القرامطة وتقلص نفوذهم، وبروز قوى وزعامات محلية أخذت تسعى للقضاء على دولتهم. والمعلومات عن هذه الحقبة قليلة جداً وفيها غموض واضطراب. وقد وصف بعض الباحثين تاريخ هذه الحقبة بأنه مجاهل لا يكاد يظهر فيها سوى بعض المعالم[١]، ولهذا أحجم كثير من الباحثين عن ارتيادها، واكتفى آخرون بالمرور عليها مروراً عابراً، وقد أدى هذا إلى وجود فجوة في معلوماتنا عن تاريخ هذه الحقبة[٢].

وهذه الفجوة في تاريخ بلاد البحرين خلال تلك الحقبة، أدت إلى عدم معرفة أثر سكانها من القبائل العربية في صنع أحداثها من قِبَل كثيرين، أو تجاهل هذا

الأثر من قبل آخرين، ومن ثم استغل هذا الأمر من بعض ذوي الأغراض في التشكيك في الهوية القومية والتاريخية لبعض جزر الخليج العربي وسواحله، واختلاق مزاعم سياسية وقومية لجهات أخرى فيها، وعلى الرغم من أن هذه المزاعم لا تقوم على أساس تاريخي ، وقد ظهر زيفها، إلا أن بعض آثارها الثقافية والإعلامية لا تزال باقية، ولهذا يلزم مواصلة التصدي لها بدراسات علمية تاريخية متعمقة ومحايدة توضح الحقائق وتكشف الزيف[٣].

وهذا البحث يسلط الضوء على جانب مهم من تاريخ تلك الحقبة الغامضة يتمثل في تتبع ثورات القوى القبلية في بلاد البحرين على سلطة القرامطة، ومحاولاتهم القضاء على تلك الدولة حتى تحقق هذا الأمر. ومن أهداف هذا البحث، الإسهام في جلاء الغموض عن جانب من تاريخ هذه الحقبة، وبيان الأثر الفاعل للقوى القبلية العربية سكان المنطقة الأصليين في صنع أحداثها، وقيادة مسيرتها، والحفاظ على هويتها القومية والدينية.

كما أن من أهداف هذا البحث مناقشة ما وقع في بعض المصادر التاريخية القديمة، وبعض الدراسات الحديثة من أوهام وخلط بين بعض الشخصيات التي ظهرت خلال تلك الحقبة، وما نتج عنه من خلل وزلل في تدوين تاريخ هذا الإقليم، ومن ذلك ما وقع في أمر تحديد تاريخ سقوط دولة القرامطة والجهة التي أسقطتها، وبيان حقيقة شخصية الأصيفرالمنتفقي، وما سُمي بدولة بني ثعلب، والكشف عما ارتبط بذلك من أوهام. وقبل هذا كله يبدأ البحث بلمحة موجزة عن إقليم البحرين من حيث تحديد موقعه، وفئات سكانه، وطبيعة علاقة القرامطة بتلك الفئات.

بلاد البحرين، موقعها وفئات سكانها:

بلاد البحرين تشغل الجزء الشرقي من الجزيرة العربية وهي تمتد على ساحل الخليج العربي من كاظمة في أقصى شماله إلى حدود عمان، وتمتد من جهة

الغرب حتى حدود إقليم نجد ويفصل بينهما رمال الدهناء، وأهم مراكزها الحضرية الأحساء والقطيف وجزيرة أوال (البحرين)[٤]، وإقليم البحرين بمفهومه التاريخي يشمل في وقتنا الحاضر: الكويت، والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، والبحرين، وقطر، وجزءhW كبير من دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتتميز بلاد البحرين باتساع رقعتها، وعدم وجود حواجز طبيعية تفصل بين أجزائها، وهذا ما جعل تاريخها يسير في سياق مترابط متكامل. وقد جمعت طبيعتها الجغرافية بين الصحارى الواسعة، والواحات الزراعية الغنية بالمياه، والسواحل البحرية الطويلة والجزر، وكان لهذا التنوع البيئي أثره في طبيعة أنماط المعيشة لدى سكان هذه البلاد، فقد كانوا ينتمون إلى ثلاث فئات هي:

١- **سكان البيئة الصحراوية**، وهذه البيئة تمتد على مساحات واسعة من أراضي بلاد البحرين عبر السهول المواجهة للساحل الممتدة غرباً نحو الداخل إلى صحراء الصمّان التي تتميز برياضها ومراعيها الغنية، ثم صحراء الدهناء وهي أيضا من المراعي الجيدة في أوقات المواسم الممطرة.

وسكان هذه البيئة يعيشون حياة البداوة، ويعتمدون على الرعي وتربية الماشية في حياتهم، ويجوبون الفيافي خلف قطعانهم طلباً للكلأ ومساقط الغيث، وموارد المياه.

والبيئة الصحراوية في هذه البلاد هي الأكثر فقراً وشظفاً في العيش، في أغلب الأحيان، خاصة عند انحباس الأمطار وحلول القحط، ولهذا فهم ينظرون إلى البيئتين المجاورتين لهم الزراعية والبحرية، الأفضل حالاً نسبياً، على أنهما مجال للحصول على المغانم، ويزداد خطرهم وتسلطهم كلما ضعفت السلطة السياسة الحاكمة[٥]، أو ظهر ثائر أو منشق لوح لهم بالمال والغنائم نظير مساندته.

وبسبب ضعف الموارد الاقتصادية لهذه البيئة وعدم وفائها باحتياجات سكانها

فإنها، في أحيان كثيرة، تكون بيئة طاردة نحو البيئات والأقاليم المجاورة الأكثر غنى، ولذلك يلاحظ أن اتجاه التحول يكون غالباً من حياة البداوة إلى التحضر والاستقرار. ولهذا نجد في إقليم البحرين وفي غيره أيضاً قبائل تحولت من البداوة إلى التحضر، وأخرى في طور التحول بحيث تجمع بين البداوة في بعض بطونها والتحضر والاستقرار في بطون أخرى من القبيلة نفسها.

ومما يلاحظ أن سكان البيئة الصحراوية في بلاد البحرين كانوا يسيطرون على الطرق البرية التي تخترق الإقليم وتربط بين مدنه وتربطه بالأقاليم الأخرى، والتي كانت تسلكها القوافل التجارية وقوافل الحجاج، وهذا يتطلب وجود علاقات تواصل وتفاعل بين المستفيدين من هذه الطرق والمسيطرين عليها.

وفي أواخر القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري (وهو النطاق الزماني لهذا البحث)، كانت أهم القوى القبلية البدوية في بلاد البحرين: بنو عُقيل ومنهم بنو عامر الذين كان لهم شأن كبيرفي تلك الحقبة وما بعدها، ومنهم أيضاً بنو المنتفق، وبنو الحريش، إضافة إلى قبائل أخرى مثل بني سُليم، وبني هلال[٦].

٢- **سكان البيئة الزراعية**، وهم يقيمون في المناطق التي تتوافر فيها المياه والتربة الصالحة للزراعة، وأهمها واحة الأحساء التي يوجد فيها أهم العيون في بلاد الجزيرة العربية، وتحيط بها واحات النخيل الواسعة، وقرى وادي الستار (المياه)[٧].

وسكان هذه البيئة هم من الحضر المستقرين، ويمارس أغلبهم النشاطات الزراعية وما يتصل بها، ونظراً لارتباطهم بالأرض ومصادر المياه والملكيات الثابتة، فهم الأسهل خضوعاً للسلطة الحاكمة، وفي الوقت نفسه الأسهل استغلالاً من قبلها في حال انتهاجها سياسة تسلطية. وفي المقابل هم الأكثر حاجه لتوافر الأمن والاستقرار لحماية ممتلكاتهم ومحاصيلهم الزراعية من تعدي سكان البيئة

الصحراوية البدوية المجاورة، كما أنهم بحاجة إلى نظام يكفل ضبط العلاقات بينهم، سواء ما يتعلق بالعلاقات بين ملاك الأرض والعاملين فيها، أو ما يتصل بتوزيع المياه بطريقة عادلة، والمحافظة على مصادرها من الخراب وسوء الاستغلال[٨].

وسكان البيئة الزراعية في بلاد البحرين على الرغم من استقرارهم وتحضرهم إلا أن أغلبهم حافظوا على انتماءاتهم القبلية وما يتبعها من ترابط، وفي أواخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين كان أغلب سكان البيئة الزراعية ينتمون إلى قبيلة عبد القيس المشهورة في بلاد البحرين ببطونها الكثيرة[٩]، إضافة إلى بطون من قبيلة بني تميم أشهرهم وأكثرهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم[١٠]، وبطون من قبيلة الأزد منهم بنو العوام وبنو معن[١١]، وعندما سيطر القرامطة على مقاليد الأمور في البحرين جلبوا أعداداً كبيرة من الموالي من الزنوج والأحباش وغيرهم للعمل في مجال الزراعة[١٢]، بعد أن صادروا كثيراً من الأملاك من أيدي أهلها الأصليين من عبد القيس وغيرهم.

٣- **سكان البيئة البحرية**، وهذه البيئة تشمل مواطن الاستقرار على سواحل بلاد البحرين المطلة على الخليج العربي، وأهمها: القطيف، والـزارة، والظهران، والعقير، إضافة إلى الجزر وأهمها: أوال (البحرين)، ودارين.

ومجالات النشاطات الاقتصادية في البيئة البحرية أوسع من البيئتين الصحراوية والزراعية، ففضلاً عن صيد السمك، هناك استخراج اللؤلؤ، والتجارة والملاحة والنقل البحري وما يرتبط بها من صناعة السفن. كما أن بعض الموانئ والجزر الكبيرة التي تتوافر فيها مصادر المياه العذبة بغزارة، مثل القطيف و جزيرة أوال، كانت تقوم فيها الزراعة أيضاً.

وسكان هذه البيئة من الحضر المستقرين، وهم أيضاً، مثل إخوانهم سكان البيئة الزراعية، حافظوا على انتماءاتهم القبلية. وأغلبهم كانوا من قبيلة عبد القيس،

يجاورهم ويشترك معهم في سكنى هذه البيئة بطون من قبيلة الأزد ومن بني تميم[١٣].

سياسة القرامطة تجاه القوى القبلية في البحرين: نظرة تحليلية:

كانت التركيبة السكانية في بلاد البحرين عند ظهور القرامطة تقوم -كما أسلفنا- على أساس قبلي سواءً في البيئة الصحراوية أو في البيئتين الزراعية والبحرية، ومعرفة طبيعة علاقات القرامطة بقبائل المنطقة هي أحد أهم مفاتيح فهم مجريات تاريخ البحرين في تلك الحقبة.

ومن يتتبع سياسة القرامطة تجاه القوى القبلية في البحرين، ويحاول أن يسبر غورها ويستقرئ دلالاتها، وخاصة علاقاتهم مع قبائل الأعراب سكان البيئة الصحراوية يجد أن تلك السياسة قامت على مبدأ الاستعانة بتلك القوى القبلية البدوية والتحالف معها واستغلالها في تحقيق أغراض ومصالح كثيرة، في مقدمتها السيطرة على المراكز الحضرية في بلاد البحرين نفسها التي كانت تقطنها القوى القبلية المتحضرة المنتمية إلى البيئتين الزراعية والبحرية، ثم الاستفادة منها في تكوين جيش قوى فعال سريع الحركة عماده رجال تلك القبائل البدوية، ويمكن بواسطته التصدي للأخطار الخارجية، وتوسيع دائرة سيطرة القرامطة ونفوذهم، هذا إضافة إلى تحقيق هدف آخر لا يقل أهمية يتمثل في تنفيذ سياسة القرامطة القائمة على إرهاب القوى الأخرى من خلال شن غارات عسكرية مفاجئة ومدمرة على ممتلكاتهم، وممارستهم السلب والنهب والقتل وبث الرعب، ومن ثم إرغام تلك القوى على دفع الإتاوات والضرائب السنوية للقرامطة وأتباعهم مقابل الكف عن مهاجمة بلادهم، وكذلك شن غارات مماثلة على القوافل التجارية وقوافل الحجاج؛ لنهب ما معهم، أو فرض إتاوات عليهم، أو على الدول التي يقع عليها واجب حمايتهم.

لقد طبق القرامطة هذه السياسة الإرهابية المتطرفة المدمرة منذ بدايات ظهور دولتهم، فأبو سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين نجح منذ البدايات الأولى لحركته في استمالة بعض القبائل البدوية، واستطاع بمساعدتها السيطرة على مدينة القطيف سنة ٢٨٦هـ /٨٩٩م وبذلك ظهرت دولة القرامطة[١٤]، كما استطاع في السنة التالية إلحاق هزيمة ساحقة بجيش الخلافة العباسية، وكان جلّ جيشه من الأعراب من بني كلاب وبني عُقيل وغيرهم[١٥]،ثم ما لبثت دولة القرامطة أن أصبحت قوة عسكرية ضاربة، تتميز بتحركاتهاالعسكرية السريعة وغاراتها المباغتة المدمرة، التي أثارت الرعب في قلوب الحكام والمحكومين على حد سواء ليس في بلاد الجزيرة العربية فحسب، بل في العراق، والشام وأطراف مصر، وأثبتت ممارسات هذه الحركة أنها من أشد الحركات تطرفاً وانحرافاً في أفكارها ومبادئها، وفي تقلب ولائها، ومن أشدها ضراوة وعنفاً وفتكاً في أعمالها العسكرية[١٦]، وقد عانت منها دول كبرى مثل الدولة العباسية والدولة الفاطمية، فضلاً عن غيرهما.

وكانت أبرز القوى القبلية البدوية التي تعاونت مع القرامطة وسارت في ركابهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر، وبنو الحريش بن كعب، وبطون كثيرة من بني عُقيل بن كعب منهم: بنو عامر وبنو المنتفق، إضافة إلى قبائل بني سُليم وبني هلال[١٧] ويلاحظ أن بعض بطون هذه القبائل انتقلت إلى البحرين قبيل ظهور القرامطة، وبعضها انتقلت بعد قيام دولتهم وبتشجيع منهم، ومنها بنو عقيل ابن كعب بن عامر بن صعصعة الذين قدموا من مواطنهم في عقيق عُقيل (وادي الدواسر والسليل) في جنوب نجد، وأصبح لهم شأن كبير في تاريخ بلاد البحرين منذ ذلك التاريخ[١٨].

أما الفئة الأخرى من قبائل البحرين فهم القبائل المتحضرة المستوطنة في

الواحات الزراعية، والمدن الساحلية والجزر، وعلى رأسهم قبيلة عبد القيس المشهورة ببطونها الكثيرة،وبعض بطون من الأزد وأخرى من بني تميم، وهؤلاء كانت علاقاتهم مع القرامطة عند قيام دولتهم علاقات عدائية، فقد قاوموهم أشد المقاومة، ذلك أن تلك القبائل كانت لها زعامة وسيادة وممتلكات ومصالح اقتصادية في مناطق استقرارها ترغب المحافظة عليها[١٩]، إضافة إلى رفضها لمعتقدات القرامطة الباطلة[٢٠]، وقد يكون لتحالف القرامطة مع القوى القبلية البدوية أثر في نفور القوى القبلية الحضرية منهم خشية تسلط البادية عليهم.

وأول من دخل في مواجهة مع أبي سعيد الجنابي وأتباعه، بنو جذيمة وهم بطن كبير من عبد القيس، وكانوا يقطنون مدينة القطيف ورئيسهم علي بن مسمار، وقد قاوموا أبا سعيد الجنابي في بدايات ظهوره لكنه هزمهم وقتل زعيمهم واستولى على القطيف[٢١]، وعندما لجأ من فرّ منهم إلى جيرانهم من بني العوام من قبيلة الأزد في مدينة الزارة[٢٢]، هاجمهم أبو سعيد واستولى على الزارة وأشعل النار في حصنها وأحرق من اعتصم به[٢٣].

بعد ذلك هاجم ديار بني سعد بن زيد مناة من بني تميم في الظهران، وفي الأحساء أيضاً، واستولى على ديارهم، ثم دخل في مواجهة قوية مع بني العياش من بني محارب وهم بطن كبير من قبيلة عبدالقيس كانت لهم زعامة ومكانه كبيرة في الأحساء ومركزهم مدينة هجر[٢٤]، وبني العريان بن مالك وهم بطن آخر كبير من عبد القيس ومركزهم في جواثا[٢٥]، فحاربهم أبو سعيد القرمطي جميعاً وتغلب عليهم، ثم حصر عدداً كبيراً منهم في محلة في الأحساء وأضرم عليهم النار، فمن خرج منهم تلقفته سيوف جنود القرمطي، ومن بقي أكلته النار، فهلك منهم يومئذ بالحرق والقتل عدد كبير[٢٦]، وقد أشار ابن المقرب العيوني إلى أعمال القرامطة هذه بقوله:

وحرقـــوا عبد قيس في منـازلهـا وصيروا الغر من سادتها حمما[٢٧]

وقوله:

إنـي لأخشـى أن تلاقـــوا مثلمـا لاقـى بنـــو العيـاش والعريـــان

كرهوا الجلاء من الديار فأهلكـوا بالسيف عن عمد وبالنيـــران[٢٨]

ولم تقتصر جرائم القرامطة تجاه القوى القبلية الحضرية على تحريق الرجال، بل امتدت إلى النساء أيضاً، فالأزهري يذكر أن أبا سعيد الجنابي لما دخل هجر سوى حظاراً[٢٩] من سعف النخيل وملأه من النساء الهجريات، ثم ألعج النار في الحظار فأحرقهن[٣٠].

هكذا استطاع أبو سعيد الجنابي بمساعدة القبائل البدوية فرض سيطرته على القبائل المتحضرة في البحرين بالحديد والنار، وصادر كثيراً من أملاكهم الزراعية[٣١]، واضطر بعضهم إلى الفرار إلى مناطق أخرى[٣٢]، وقد تركت هذه الممارسات العنيفة الظالمة آثاراً سيئة في نفوس أبناء تلك القوى القبلية ظهرت آثارها في العلاقات بين الطرفين فيما بعد، كما سوف يتبين في هذا البحث.

أما عن أسباب استجابة القوى القبلية البدوية للقرامطة وتعاونهم معهم ضد جيرانهم في بلاد البحرين، وضد القوى الأخرى خارج الإقليم فترجع في الجملة إلى أمور منها:

١- حالة الفقر المدقع التي كانت تعيشها تلك القبائل مما يدفعها للتعاون مع الخارجين عن السلطة المركزية سعياً للحصول على الكسب المادي من خلال غنائم الغزو وفرص السلب والنهب[٣٣]. يضاف إلى هذا تأصل نزعة حب الغزو والقتال في نفوس كثير من أبناء القبائل البدوية، والفخر بذلك وبما يترتب عليه من قتل للطرف المنافس، ونهب للأموال.

٢- وجود قدر من النقمة لدى كثير من القبائل البدوية تجاه السلطة المركزية ومن

يتعاون معها، بسبب ما تلقته تلك القبائل من ضربات تأديبية من الخلافة العباسية وما كان يصاحبها من قسوة وبطش وظلم في بعض الأحيان،ومن ذلك ما حدث لقبائل بني سليم وبني هلال وبني كلاب وبني نمير على يد حملة القائد بغا الكبير سنة ٢٣١-٢٣٢هـ/٨٤٥-٨٤٦م[٣٤].

٣- استبعاد العنصر العربي من جيش الدولة العباسية وإحلال الأتراك محلهم، وهذا الإجراء حدث قبل حركة القرامطة بمدة ليست طويلة، وكان له انعكاس سلبي على القبائل العربية البدوية التي كان قسم من أفرادها يلتحقون بالمؤسسة العسكرية (جيش الخلافة)، فلما أغلق هذا الباب أخذ الفائض البشري لدى هذه القبائل يزداد ويتراكم عبر السنين، وتزداد معه النقمة وسوء الأحوال الاقتصادية، وكان هذا الفائض البشري مهيأً لحياة الغزو والقتال بحكم طبيعة الحياة البدوية وثقافتها، وهو على استعداد للانضمام إلى أي قوة محاربة توفر له فرصة الكسب، وتشبع النزعة القتالية لديه.

لقد استغل القرامطة -وبنجاح كبير- هذه الحاجات المادية والنزعات النفسية لدى تلك القبائل البدوية، وبنو معها علاقات إستراتيجية نفعية تحقق مصالح الطرفين، فالقرامطة تولوا القيادة العامة والتخطيط، وبذلك تم تلافي مشكلة الخلاف على الزعامة بين شيوخ تلك القبائل، كما تولوا تأمين المتطلبات من المؤن والأسلحة، وفي المقابل وفرت القوى القبلية الأفراد الذين كونوا في مجموعهم قوة عسكرية ضاربة ذات كفاءة قتالية عالية، يتم استدعاؤها عند الحاجة ولا تكلف خزينة الدولة أعباءً مالية باهظة.

ولا بد من التأكيد هنا على أن هذا التحالف والتعاون لا يعني وجود اتفاق في المعتقدات والمبادئ بين الطرفين، فالزعامات القرمطية لم تكن تقيم تحالفاتها على أسس عقدية في كثير من الأحيان، بل على المصالح[٣٥]، بدليل تقلب ولائهم بين

الفاطميين (الإسماعيلية)، والعباسيين (السنة). والقبائل البدوية كانت هي الأخرى على المنهج نفسه.

والخلاصة أن هذا التعاون لم ينشأ من التقاء عقدي أو دوافع دينية، بل قام على توافق مصالح سياسية وعسكرية واقتصادية، وكانت العلاقات بين الطرفين تدور مع هذه المصالح وجوداً وعدماً، ولهذا لم تسر هذه العلاقات في مسار متوافق دائماً، بل كانت تحدث الاختلافات وتثور المنازعات بين الطرفين أحياناً، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا حين قال: "كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات"[٣٦].

ومهما يكن الأمر فقد استطاع القرامطة خلال مرحلة قوتهم وانتظام أمرهم المحافظة على هذا التحالف، وتجاوز ما اعترضه من اضطراب وتوتر في بعض الأحيان، واستغلوه لتحقيق مصالحهم. إلا أن الأحوال أخذت تتبدل بعد أن بدأت إمارات الضعف تسري في مفاصل دولتهم، خاصة بعد وفاة زعيمهم الحسن الأعصم سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م[٣٧]، فمنذ ذلك التاريخ أخذت بعض القوى القبلية تثور على القرامطة وتدخل في صراعات معهم.

الأصيفر المنتفقي والقرامطة:

يعد الحسن الأعصم آخر زعماء القرامطة الأقوياء، فبعد وفاته لم تظهر شخصية قرمطية قوية، بل حدث انقسام وتنازع بينهم فأخذ نفوذهم في الانحسار وتراجعت مكانتهم، وخاصة بعد الهزائم التي حلت بهم، ومنها هزيمتهم في سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م أمام جيش صمصام الدولة البويهي[٣٨]، ويعلق ابن الأثير على ذلك بقوله: "وزال من حينئذٍ ناموسهم"[٣٩].

في تلك الأثناء ظهر زعيم قبلي يدعى الأصفر المنتفقي، وهو من بني المنتفق

وهم بطن من قبيلة عُقيل، وكان مركزهم في ذلك الوقت في جنوب العراق بين البصرة والكوفة وما يليها جنوبا من براري شمالي البحرين[٤٠]، وهم من القوى القبلية البدوية التي تعاونت مع القرامطة في فترة قوتهم.

والمعلومات عن الأصيفر وعن القرامطة خلال الفترة التي ظهر فيها قليلة جداً ويكتنفها كثير من الغموض والتناقض واللبس، وقد وصف أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري تاريخ البحرين في هذه الحقبة بأنه مجاهل ولا يظهر فيها سوى بعض المعالم القليلة[٤١]، وقال: "وحقٌ على أستاتذة كراسي التاريخ من المؤرخين أن يلهثوا وراء المجهول الضائع وهو تاريخ بني الأصيفر"[٤٢].

والحق أن تاريخ الأصيفر فيه من المجاهل والاضطراب ما أوقع كثيراً من المؤرخين في أوهام كبيرة منذ عصر ابن خلدون حتى عصرنا هذا، ولذلك هو بحاجة إلى دراسة تتبعية تحليلية ناقدة تكشف الغموض وتصحح الأوهام.

اسم الأصيفر ونسبه:

ورد اسم الأصيفر ونسبه في المصادر بعدة صيغ، فقد ذكره القاضي عبد الجبار الهمذاني، وهو من المعاصرين له، باسم الأصفر العُقيلي[٤٣]. وذكره كل من ابن الجوزي[٤٤]، وابن الأثير[٤٥]، باسم الأصيفر المنتفقي، ولا تعارض في ذلك فبنو المنتفق بطن من عُقيل، والأصيفر تصغير للأصفر. وذكره ابن خلدون باسم الأصفر بن الحسن الثعلبي، وفي موضع آخر الأصيفر الثعلبي[٤٦]، ولم يبين إلى من ينتمي بنو ثعلب الذين نسبه إليهم، ولم ينسب أحد قبل ابن خلدون الأصيفرإلى بني ثعلب[٤٧]. وذكره ابن فهد باسم الأصيفرمحمد بن حنين بن حماد[٤٨]، وذكره الجزيري باسم الأصيفر محمد بن حسين بن حماد[٤٩]، وأشير إليه بالأصيفر الأعرابي في مواضع كثيرة[٥٠]، وبالأصيفر أمير العرب[٥١]. وتسميته بالأصيفر المنتفقي والأصيفر الأعرابي هي الأكثر تردداً في المصادر.

والأصفر أو الأصيفر لقب أطلق عليه وليس اسمه الأصلي، والصفرة كما جاء في قواميس اللغة من معانيها السواد في اللون[٥٢]، فلعله لقب بذلك لميل لون بشرته إلى السواد. وقد وقع تصحيف في لقبه في بعض المصادر والمراجع فذكر: الأصغر، والأصيغر (بالغين) [٥٣]، والأحيفر (بالحاء) [٥٤].

ووقع وهم في بعض الدراسات الحديثة بنسبته إلى بني تغلب بن وائل بن قاسط القبيلة المشهورة[٥٥]، وهذا غير صحيح، فبنو تغلب لا وجود لهم في إقليم البحرين وجنوب العراق في تلك الحقبة، ويبدو أن سبب هذا الوهم يرجع إلى ما وقع في بعض المصادر من تحريف لكلمة الثعلبي التي وردت عند ابن خلدون ونقلها عنه آخرون إلى التغلبي (بالتاء والغين)، أو نتيجة الخلط والالتباس مع شخصية أخرى ظهرت في شمال الشام في تلك الآونة وأطلق عليها لقب الأصفر أيضاً، هي شخصية أحمد بن الحسين الجزري التغلبي المعروف بالأصفر، وقد ترجم له ابن العديم، وذكره ابن الأثير وغيره، وهو شخصية أخرى لا علاقة لها بالأصيفرالمنتفقي ولا ببلاد البحرين. وسوف يرد بيان أمره فيما بعد.

ظهور الأصيفر ومحاربته للقرامطة:

أول ذكر للأصفر أو الأصيفر في المصادر التاريخية كان في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م، يقول ابن الأثير: "في هذه السنة جمع إنسان يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعاً كثيراً، وكان بينه وبين جمع القرامطة وقعة شديدة، قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقتل منهم، وأسر كثير، وسار الأصفر إلى الأحساء، فتحصن منه القرامطة، فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم، وأموالهم، ومواشهم، وسار بها إلى البصرة"[٥٦]. ويقول النويري معلقاً على هذه الهزيمة:"وانتقض أمر القرامطة وضعفوا"، ويقول أيضاً: "ولم أقف لهم بعد واقعة الأصفر على واقعة أخرى فأذكرها"[٥٧].

إن هذا النجاح الذي حققه الأصيفرالمنتفقي بهزيمة القرامطة وغزوهم في عقر دارهم لأول مرة، يعد تحولاً خطيراً في تاريخ القرامطة وتاريخ إقليم البحرين، نتج عنه كسر هيبة القرامطة وتقلص نفوذهم، وضعف قوتهم العسكرية، وتحولهم من قوة عسكرية ضاربة سيطرت على المنطقة ردحاً من الزمن، وطالت هجماتها أنحاء الجزيرة العربية، وأرياف العراق والشام، وأطراف مصر، وزرعت الخوف والرعب لدى القريب منها والبعيد، إلى كيان ضعيف محدود السلطة والنفوذ بعد أن انتزع الأصيفر منهم السيادة على طريق الحج، وبوادي البحرين، وأصبح نفوذهم قاصراً على ما تحيط به أسوار المدن في الأحساء والقطيف وجزيرة أوال،وأصبحوا شبه محاصرين فلم يعد بإمكانهم تحريك قوات أو بعث سرايا خارج المدن خوفاً من الأصيفر[٥٨]. بل إن القبائل البدوية القريبة من مراكزهم، التي كانت تسير في ركابهم، أصبحت تفرض عليهم الإتاوات مقابل عدم التعرض لممتلكاتهم. وهكذا انقلب السحر على الساحر، و شرب القرامطة من الكأس التي طالما سقوا غيرهم منه.

وهذه الانتكاسة التي حلت بالقرامطة على يد إحدى القوى القبلية في البحرين تعد بداية طريق النهاية بالنسبة لهم، والمسمار الأول في النعش الذي صنعته القوى القبيلة المحلية لدولتهم. وقد أدت فيما أدت إليه إلى حرمانهم من مورد من أهم مواردهم المالية، وهو ما كانوا يفرضونه من إتاوات مقابل عدم التعرض لقوافل الحجاج والتجار، مما زاد ضعفهم. والأهم من هذا أنها كشفت للقوى القبلية الأخرى حالة الضعف التي وصل إليها القرامطة، وكسرت حاجز الخوف، ومهدت السبيل لتحرك قوى أخرى لاستكمال مسيرة التحرر.

أما الأصيفر المنتفقي فقد علا شأنه، وحل محل القرامطة في السيطرة على طرق الحج والقوافل، فترة من الزمن، وأطلق عليه لقب أمير العرب[٥٩]. لكنه- وللأسف- مارس الممارسات السيئة نفسها التي كان يمارسها القرامطة، بالتعدي

على الحجاج ومنعهم من مواصلة السفر في حال عدم دفعهم الإتاوات.

ففي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م اعترض الأصيفر طريق الحجاج وطالبهم أن يدفعوا له الأموال التي كانت تدفع للقرامطة، وأخذها منهم[٦٠]. وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م أرسل وفداً من قِبَله إلى بغداد عرض على الخلافة العباسية استعداده لتولي حماية الحجاج مقابل أموال تدفع له، وتمت الموافقة على ذلك[٦١]. وفي السنة التالية اعترض الأصيفر طريق الحجاج وطالبهم بالرسم المقرر، فدفع له أمير الحجاج دنانير هرجة (مزيفة، من النحاس المطلي بالذهب)، ولم يعلم الأصيفر بذلك في حينه فسمح للحجاج بالمسير[٦٢].

وفي سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م اعترض الأصيفر الحجاج وصدهم عن الطريق وقاتلهم، ومنعهم بالقوة من مواصلة المسير، وطالبهم برسم سنتين بحجة أن الدنانير التي أخذها في العام السابق كانت مزيفة، فعاد الحجاج أدراجهم مرغمين ولم يتمكنوا من الحج[٦٣].

وفي السنة التالية تم تسوية الأمر مع الأصيفر حين تكفل بدر الدين بن حسنويه الكردي[٦٤] والي بلاد الجبل بدفع رسوم سنوية للأصيفر مقابل عدم تعرضه للحجاج[٦٥].

وعلى الرغم من ذلك لم يسلم الحجاج من تعديات الأعراب، فقد كانت تعترض طريقهم قوى قبلية أخرى، مثل قبيلة بني الجراح الطائية بزعامة مفرج بن دغفل ابن الجراح، الذي اعترض حجاج العراق في السنوات ٣٨٦هـ/٩٩٦م، ٣٨٩هـ/٩٩٩م، ٣٩٣هـ/١٠٠٣م، ٣٩٤هـ/١٠٠٤م[٦٦]. ومثل قبيلة خفاجة، وقبيلة بني هلال[٦٧].

وهذا يدل على أن الأصيفرالمنتفقي لم يكن منفرداً بالسيطرة على طريق الحج، ولم يكن باستطاعته منع القوى الأخرى من مهاجمة الحجاج، وبخاصة بعد سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م.

والخلاصة أن المصادر لم تذكر للأصيفر من الأعمال بعد هزيمته للقرامطة سوى هذه الممارسات السيئة تجاه الحجاج. وبهذا تكون حسنته الوحيدة هي دحر القرامطة، وتقليص نفوهم، وتحطيم قوتهم العسكرية، وحصر نفوذهم في نطاق ضيق.

مذهب الأصيفر:

لم تذكر المصادر التاريخية المتقدمة المذهب الذي كان يعتنقه الأصيفرالمنتفقي، وكل ما ورد في هذا الأمر كلمة واحدة ذكرها ابن تغري بردي عندما أشار إلى اعتراض الأصيفر لقافلة الحج العراقي سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، حيث قال: "فاعترض الركب الأصيفر الشيعي الأعرابي"[٦٨]. ويلاحظ أن وصف الأصيفر بالشيعي لم يرد في المصادر الأخرى، كما أنه لم يتكرر عند ابن تغري بردي نفسه في مواضع أخرى سابقة ولاحقة ورد فيها ذكر الأصيفر، حيث ذكره باسم الأصيفر الأعرابي[٦٩].

وقد ورد في بعض الدراسات الحديثة أن الأصيفر قرمطي يتستر باسم الشيعة[٧٠]. وورد أيضاً أنه ممن يرى رأي القرامطة فيما يُظن[٧١]، وورد أيضاً وصفه بأنه شيعي دون تحديد الفرع الذي ينتمي إليه من مذاهب الشيعة[٧٢].

والواقع أن هذا الحكم فيه تسرع، وأمر تحديد مذهب الأصيفر يحتاج إلى وقفة ونظر، فالقاضي عبد الجبار الهمذاني -وهو معاصر للأصيفر- ذكر خبراً عن العلاقة بين الأصيفر والسلطات الفاطمية بمصر،له دلالته في هذا المقام، جاء فيه أن الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) عندما بلغه خبر الهزيمة التي ألحقها الأصيفر بالقرامطة، بادر بإرسال هدايا كثيرة نفيسة إلى الأصيفر ومعها أموال عظيمة، وطلب منه أن يرسل إليه موفداً من قبله يثق به، فأرسل الأصيفر ابن أخته إلى مصر، فأكرمه الفاطميون غاية الإكرام، وحمّلوه رسالة إلى خاله يعرضون فيها عليه الدخول في دعوتهم على أن يمنحوه إقطاعات

كبيرة في بلاد الشام[٧٣]. وعلى الرغم من إغراء هذا العرض، إلا أن الأصيفر لم يقبل به بناء على مشورة من فقيه حنفي كان عنده بمثابة المستشار، يقول الهمذاني:" فمنع الأصيفر من ذلك رجل معه من أصحاب أبي حنيفة يقال له أبو بكر محمد بن محمد النيسابوري[٧٤]، فقال له: لا تغتر بما يظهره نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو إلى الإسلام وإلى الحق، فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالأحساء، وهم الأصل في الفساد في الإسلام، وخذ الأموال التي أعطوك فإنما هي هدايا أهدوها لك، وابتدأوك بها. فأرسل الأصيفر إلى نزار في جواب الرسالة: "إني لست أجيبك إلى ما بذلت من الإقطاع بالشام إلى أن أفرغ من الأحساء وأهله، وأعرفك ما عندي"[٧٥].

وهذا النص مهم جداً وله دلالاته في سياق مناقشة أمر الانتماء المذهبي للأصيفر، فاتخاذ الأصيفر فقيهاً حنفياً مستشاراً له، ومضمون ما ذكره ذلك الفقيه في نقد مذهب الفاطميين والقرامطة وبيان حقيقته، وقبول الأصيفر بمشورته على الرغم من الإغراءات الكثيرة التي بذلت له من الفاطميين، هذا كله علاوة على أنه تصدى للقرامطة وحاربهم، يجعلنا نستبعد تماما أن يكون قرمطياً، أما كونه شيعياً غير قرمطي فهو محل شك أيضاً، خاصة أنه لا يوجد في المصادر ما يدعم هذا سوى إشارة ابن تغري بردي، وهي إشارة وحيدة من مؤرخ متأخر زماناً عن عصر الأصيفر، وبعيد مكاناً عن بلاد البحرين.

وبناء على ما سبق فإن ما ذهبت إليه بعض الدراسات الحديثة من أن الأصيفر قرمطي أو شيعي لا يقوم على أدلة كافية، ولعل الأقرب بناء على مضمون النص السابق أنه كان سنياً على مذهب أبي حنيفة، مثل مستشاره أبي بكر النيسابوري، ولكن هذا يبقى مجرد احتمال. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الأعراب في الجملة – والأصيفر منهم– ثقافتهم الدينية قليلة ولا يهتمون كثيراً بأمر التقيد الدقيق بمذهب

معين. كما أنهم لا يلتزمون أحياناً بأوامر الدين وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالسلب والنهب والحصول على الأموال، وهذا ظاهر في ممارسات الأصيفر وأتباعه تجاه الحجاج.

نقد رواية ابن خلدون عن سقوط دولة القرامطة، وعن الأصفر الثعلبي:

انفرد ابن خلدون بذكر معلومات عن زوال دولة القرامطة على يد الأصيفر سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م وحلوله محلهم، وهذه المعلومات لم يذكرها أحد قبله -فيما أعلم- وأخذها عنه بعض من جاء بعده دون نظر وتمحيص ومقارنة بما ورد في مصادر أقدم وأقرب، وبنوا على ذلك استنتاجات غير صحيحة.

فقد جاء في سياق حديث ابن خلدون عن قرامطة البحرين أنهم هاجموا الكوفة في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤هـ واستولوا عليها، فبعث إليهم صمصام الدولة البويهي[٧٦] جيشاً هزمهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً وطردهم[٧٧]، ويلاحظ أنه وقع خطأ عند ابن خلدون في تحديد تاريخ هذا الحدث، فهو وقع سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م كما ورد عند ابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم، وليس في سنة ٣٦٤هـ التي لم يتول فيها صمصام الدولة بعد، كما أن زعيم القرامطة الحسن الأعصم كان لا يزال على قيد الحياة وكانت تربطه علاقات جيدة بالعباسيين.

ثم قال ابن خلدون بعد ذلك: "وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصيغر[٧٨] بن أبي الحسن الثعلبي سنة ثمان وتسعين عليهم وملك الأحساء من أيديهم، وأذهب دولتهم، وخطب للطائع، واستقرت الدولة له ولبنيه"[٧٩]. بعد ذلك مباشرة وتحت عنوان: "ذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة"، ذكر أن الأصيفر استولى على البحرين وأورثها بنيه، ثم قال: "وامتد ملك الأصيفر وطالت أيامه، وتغلب على الجزيرة والموصل، وحارب بني عُقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة برأس عين[٨٠] من بلاد الجزيرة وغصّ بشأنه نصير الدولة ابن مروان[٨١] صاحب

ميافارقين وديار بكر، فقام له وجمع له الملوك من كل ناحية، فهزمه وأعتقله، ثم أطلقه ومات، وبقي الملك متوارثاً في بنيه بالبحرين إلى أن ضعفوا وتلاشوا"[٨٢].

والواقع أن معلومات ابن خلدون هذه فيها خطأ وتناقضات وتداخل بين شخصيتين مختلفتين، ويبدو أن بعد ابن خلدون الزماني عن حقبة البحث وبعده المكاني عن بلاد البحرين (مسرح الأحداث) كان سبباً في وقوع هذا الخلل والاضطراب. ومعلومات ابن خلدون هذه أخذها بعض من جاء بعده على أنها قضية مسلمة، وقرروا اعتماداً عليها أن دولة قرامطة البحرين سقطت سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م، وأدرجوا ضمن تاريخ بلاد البحرين دولة سموها دولة بني الأصفر الثعلبي، وقالوا أنها حلت محل القرامطة وحكمت بلاد البحرين[٨٣].

ولهذا كله لابد من إخضاع معلومات ابن خلدون لنقد علمي تاريخي يبين ما فيها من خلل، ويكشف حقيقة الأمر، وفق ما يلي:

١- ذكر ابن خلدون أن الأصيفر استولى على الأحساء سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م وقضى على دولة القرامطة، وخطب للطائع. وما ذكره هنا فيه تناقض، فالخليفة الطائع لله العباسي خُلع سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وحل محله الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م)، وبقي الطائع محجوراً عليه بعد ذلك إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م[٨٤]. فكيف يخطب له في سنة ٣٩٨هـ.

وقد يرد هنا احتمال مفاده أن التاريخ الذي ورد عند ابن خلدون قد يكون وقع فيه تحريف فتحولت كلمة (سبعين) إلى (تسعين)، ورسمها متقارب، ويكون المراد ما حدث سنة ٣٧٨هـ من هزيمة الأصفر للقرامطة، ومهاجمة الأحساء، ونهب القطيف، الذي سبقت الإشارة إليه، خاصة أن ابن خلدون لم يذكر هذا الأمر على الرغم من أهميته وكونه أول ظهور للأصفر، وأول غزو للقرامطة في عقر دارهم. ولو صح هذا الاحتمال فإن أمر الخطبة للطائع يستقيم، لأنه هو الخليفة في ذلك التاريخ. ولكن

يبقى أن ما حدث سنة ٣٧٨هـ لم يؤد إلى سقوط دولة القرامطة وإنما هو هزيمة حلت بهم وغزو لهم في عقر دارهم ونهب لإحدى مدنهم من قبل الأصفر، عاد بعدها إلى ناحية البصرة، وبقيت دولة القرامطة قائمة، وإن تقلص نفوذها وضعف شأنها، في حين أن ابن خلدون يذكر أن الأصيفر: "ملك الأحساء من أيديهم، وأذهب دولتهم".

٢- تؤكد المصادر التاريخية التي تحدثت عن القرامطة، باستثناء ابن خلدون ومن نقل عنه، وجودهم بعد سنة ٣٩٨هـ التي حددها ابن خلدون نهاية لدولتهم، ومن هذه المصادر، على سبيل المثال، ما ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو، وهو شاهد عيان زار الأحساء سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م وذكر أن الذين يحكمونها من أحفاد أبي سعيد الجنابي القرمطي، وأنها مدينة قوية محصنة[٨٥]. وما ذكره غرس النعمة محمد بن هلال الصابي المتوفى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، نقلاً عن شاهد عيان مر ببلاد البحرين، وفيه ما يؤكد وجود القرامطة واستمرار حكمهم في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وأن الحكم بيد أحفاد أبي سعيد وأنهم يعرفون بالسادة[٨٦]. كما أن أشعار ابن المقرب العيوني وشرح ديوانه،وهي من أهم مصادر تاريخ البحرين في تلك الحقبة، تؤكد هي الأخرى استمرار دولة القرامطة، وأنها سقطت على يد العيونيين[٨٧]، بعد التاريخ الذي ذكره ابن خلدون بأكثر من سبعين عاماً. وهذه المصادر كلها أسبق من ابن خلدون، وأقرب إلى المنطقة، وأدرى بتاريخها.

٣- ورد في شرح ديوان ابن المقرب وثيقة مهمة تضمنت معلومات قيمة عن تاريخ بلاد البحرين، وهذه الوثيقة عبارة عن نص رسالة أرسلها أبو البهلول العوام بن محمد الزجاج إلى ديوان الخلافة في بغداد بعد أن تمكن من انتزاع جزيرة أوال من سلطة القرامطة في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[٨٨]، وهذه

الرسالة سوف نتحدث عنها وعن مضمونها فيما بعد عند ذكر ثورة أبي البهلول على القرامطة، والمهم هنا أنه ورد فيها تأكيد أبي البهلول أنه أول من أنتزع هذه الجزيرة من سلطة القرامطة، وأنه يسعى للقضاء التام على دولتهم في المواقع الأخرى التي لا تزال تحت سيطرتهم في القطيف والأحساء، ويطلب مساعدة الخليفة العباسي له في ذلك، ومما جاء في هذه الرسالة أيضاً أنه مضى على قيام دولة القرامطة مئة وإحدى وسبعون سنة إلى تاريخ كتابة الرسالة[٨٩]، وهذا يؤكد استمرار دولتهم وأن البلاد لم تخرج من أيديهم إلى ذلك التاريخ.

٤- لم تذكر المصادر التي اهتمت بالقرامطة ورصدت أخبارهم قبل ابن خلدون، مثل الصابي، وابن الجوزي، وسبطه، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم، ما ذكره ابن خلدون من أمر سقوط دولة القرامطة على يد الأصفر سنة ٣٩٨هـ، ومثل هذا الأمر يعد حدثاً جللاً ومهماً، ومن ثم يستبعد أن تجمع تلك المصادر على عدم ذكره لو كان قد وقع فعلاً، وهي التي رصدت أخباراً وأحداثاً كثيرة تتعلق بالقرامطة أقل شأناً من ذلك.

٥- يلاحظ أن معلومات ابن خلدون عن تاريخ بلاد البحرين في تلك الحقبة فيها قدر من القصور والتعارض والتداخل، بدليل أنه لم يذكر الدولة العيونية التي حكمت بلاد البحرين نحو مئة وسبعين عاماً بعد القرامطة (٤٧٠-٦٣٦هـ/١٠٧٧-١٢٣٨م) وهي تعد من أبرز الدول التي حكمت البحرين، وسياق كلام ابن خلدون يدل على أنه لا يعرف عنها شيئاً، فهو يظن أن الأصفر وبنيه حكموا البحرين بعد القرامطة ثم جاء بعدهم بنو عُقيل[٩٠]. كما أنه في موضع آخر يورد معلومات تناقض ما قرره من أن الأصفر حل محل القرامطة، وذلك حين ذكر أن بني سُليم هم الذين حلوا محل القرامطة،ثم جاء بعدهم الأصفر[٩١].

٦- ذكر عدد كبير من المؤرخين منهم ابن الجوزي،وابنالأثير، والذهبي، وابن كثير

أن الأصفر المنتفقي توفي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[٩٢]. وابن خلدون يذكر أنه شارك في أحداث وقعت سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م[٩٣]. وهذا يؤكد تداخل المعلومات لديه عن شخصيتين مختلفتين سوف نشير إليهما في النقطة التالية.

٧- خلط ابن خلدون بين الأصفر المنتفقي الذي ظهر في بلاد البحرين، وحارب القرامطة، وتوفي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م، وبين الأصفر التغلبي الذي ظهر في الجزيرة الفراتية ثم توجه إلى الشام، وحارب الروم بمجموع من المتطوعة، ثم دخل في مواجهة مع القوى المحلية هناك ومنها نصر الدولة صاحب ميافارقين وديار بكر، الذي تمكن من اعتقاله سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، ومات الأصفر التغلبي في السنة نفسها .والأصفر التغلبي هذا ذكره ابن العديم باسم أحمد بن الحسين الجزري التغلبي، وقال إنه يعرف بالأصفر، وترجم له ترجمة مطولة، ذكر فيها أنه ظهر في بلاد الجزيرة الفراتية، وعبر إلى الشام سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م مظهراً الرغبة في غزو الروم، فتبعه خلق عظيم من المسلمين المتطوعين، وجرت له وقاعات مع الروم، ثم أن إمبراطور الروم شكاه إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م)، وآل أمره إلى أن قبض عليه أمير حلب لؤلؤ السيفي، وسجنه في قلعة حلب نحو عشر سنوات، ثم أطلق صراحه سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م[٩٤].

وذكره ابن الأثير أيضاً باسم الأصفر التغلبي، وقال إنه ظهر برأس عين، وجمع الجموع، وغزا نواحي الروم، وغنم مغانم كثيرة، وتكررت غزواته وغاراته وكثر أتباعه، فأرسل إمبراطور الروم إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ميا فارقين وديار بكر يذكره بما بينهما من المهادنة، ويطلب منه منع الأصفر من مهاجمة بلاده، واتفق في الوقت نفسه أن الأصفر أخذ ينكر على نصر الدولة ترك الغزو والميل إلى الدعة، فساءه ذلك، ودبر مكيدة استطاع بها القبض على الأصفر في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م

واعتقاله، ومات الأصفر التغلبي في السنة نفسها[٩٥].

وواضح من هذا أننا أمام شخصيتين مختلفتين، أحدهما من بني المنتفق من قبيلة عُقيل، والآخر من قبيلة بني تغلب، والأول ظهر في جنوب العراق وبلاد البحرين وحارب القرامطة، والآخر ظهر في شمال الشام وحارب الروم، ولا علاقة له ألبتة بالقرامطة وبلاد البحرين. ولا يجمع بين الشخصيتين سوى أن كلاً منهما يلقب بالأصفر، وأنهما تعاصرا مدة من الزمن، وهذا فيما يظهر هو سبب الخلط بينهما.

ومن المفارقات التي تؤكد تداخل معلومات ابن خلدون في هذا الأمر واضطرابها، أنه في سنة ٣٩٨هـ التي ذكر ابن خلدون أن الأصفر دحر فيها القرامطة في البحرين وأزال ملكهم، واستولى على بلادهم، كان الأصفر التغلبي مسجوناً في قلعة حلب. وفي سنة ٤٣٨هـ التي ذكر ابن خلدون أن الأصفر حارب فيها بني عُقيل، ودخل في مواجهة مع صاحب ميا فارقين، كان الأصفر المنتفقي قد توفي قبلها بنحو ثمان وعشرين سنة. هذا كله وابن خلدون يتحدث عنهما على أنهما شخص واحد.

بعد هذه المناقشة لرواية ابن خلدون عن تاريخ سقوط دولة قرامطة البحرين، وعن الخلط بين شخصيتي الأصفر المنتفقي والأصفر التغلبي، لعل من نافلة القول أن من نقل رواية ابن خلدون من المؤرخين الذين جاءوا بعده، ومن الباحثين المحدثين، ينطبق على ما ذكروه ما أخذ على رواية ابن خلدون.

دولة بني الأصفر الثعلبي، وهم يتجددد:

لم يتوقف ما وقع من خلل وزلل في أمر تاريخ سقوط دولة القرامطة وأمر الأصيفر على ما ورد عند ابن خلدون ومن نقل عنه، بل تعدى ذلك إلى ما هو أكثر خللاً وأخطر زللاً، فقد أخذت إحدى الدراسات الحديثة ما ورد عند ابن خلدون، ودمجته مع ما ورد عند ابن العديم وابن الأثير بطريقة غير علمية وغير منطقية

ودون نظر وتمحيص، فزادت الأمر سوءاً، ووسعت دائرة الوهم والخطأ، فقد جعلت أحمد بن الحسين الجزري التغلبي (الأصفر التغلبي) الذي ذكره ابن العديم وابن الأثير، حفيداً للأصفر أو الأصيفر (المنتفقي) الذي ظهر في بلاد البحرين وهزم القرامطة، وجعلت الحسين (والد الأصفر التغلبي) ابناً للأصفر المنتفقي، ورتبت على ذلك سلسلة من الحكام زعمت أنهم يمثلون دولة أو إمارة قامت في بلاد البحرين وحلت محل القرامطة، وتعاقب على الحكم فيها: مؤسسها الأصفر أو الأصيفر (المنتفقي) الذي سماه ابن خلدون الأصفر بن أبي الحسن الثغلبي، ثم ابنه الحسين، ثم حفيده أحمد بن الحسين، الذي دخل في مواجهة مع صاحب ميافارقين وتوفي سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وأضافت أن كلاً من هؤلاء الحكام كان يلقب بالأصفر أو الأصيفر. وسمت هذه الدولة أو الإمارة (الافتراضية) إمارة بني ثعلب[٩٦].

وزعمت أن حكمها لم يقتصر على البحرين وجنوب العراق فحسب، بل امتد إلى أبعد من ذلك بكثير ليشمل عمان، واليمامة، وبادية الحجاز، وبلاد الجزيرة الفراتية، وشمال الشام. وأن جيوشها كانت تنطلق من مركزها في البحرين لمحاربة الروم في شمال الشام وآسيا الصغرى[٩٧].

والواقع أن هذا كله من التلفيق والخلط في الأحداث والأنساب، والمجازفات في كتابة التاريخ، فكيف يربط بين الأحداث بهذا الشكل الغريب، ويخلط بين الشخصيات، وتركب الأنساب، ثم يختلق منها دولة وهمية، يوضع لها سلسلة حكام، وينسب لها أحداث وأعمال عسكرية جسام، وسيطرة على بلاد واسعة الأرجاء، ويدرج هذا كله في سياق تاريخ بلاد البحرين، ولا شك أن هذا من الوهم والتسرع الذي يجب بيان ما فيه من خطأ ظاهر، وتجاوز سافر، ويلزم من قال به إعادة النظر وتصحيح الخلل وتدارك الزلل.

وخلاصة القول أن دولة قرامطة البحرين لم تسقط سنة ٣٩٨هـ على يد

الأصيفر، بل استمرت إلى سنة ٤٧٠هـ، ومن ثم سقطت على يد عبد الله بن علي العيوني وقامت على أنقاضها الدولة العيونية. وأنه لا يوجد في تاريخ البحرين دولة أو إمارة باسم دولة أو إمارة بني الأصفر الثعلبي، فالأصفر (المنتفقي) لم يستول على الأحساء، بل هو زعيم قبلي حقق شهرة بهزيمته للقرامطة سنة ٣٧٨هـ وسيطرته على جزء من بوادي شمال البحرين وجنوب العراق، وطريق الحج مدة من الزمن،وتوفي سنة ٤١٠هـ، وانتهى أمره، ولا نعلم من خلفه في زعامة قبيلته. أما الأصفر التغلبي الذي ظهر في شمال بلاد الجزيرة الفراتية والشام، وتزعم حركة جهادية هدفها محاربة الروم، فهو شخصية أخرى لا علاقة لها ببلاد البحرين ولا بالقرامطة ولا بالأصفر المنتفقي، ولا يشتركان إلا في اللقب فقط. فكيف يكون هذا حفيداً لذاك؟.

استمرار مقاومة القوى القبلية في البحرين للقرامطة:

لم ينته أمر مقاومة القوى القبلية في البحرين للقرامطة بوفاة الأصيفر المنتفقي، بل استمر التصدي لهم وحصر نفوذهم في المدن والمراكز الحضرية المحصنة، يدل على ذلك ما ذكره الرحالة الفارسي المشهور ناصر خسرو، وهو شاهد عيان زار الأحساء في تلك الحقبة، وبالتحديد في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م. وتحدث عنها في رحلته، وما ذكره يعد من أهم الوثائق عن مدينة الأحساء ودولة القرامطة في تلك الآونة. فقد وصف الأحساء وصفاً مفصلاً، وأشار إلى قوة تحصيناتها المكونة من أربعة أسوار قوية متعاقبة، وقلعة في وسط المدينة، كما تحدث عن حكم أحفاد أبي سعيد القرمطي فيها وطريقة إدارتهم للأمور، وأشار إلى بعض معتقداتهم الباطلة، وأنهم لا يصلون ولا يصومون، وذكر أنه حين زار مدينة الأحساء لم يكن بها مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة ولا خطبة[٩٨]. ثم قال، وهو المهم هنا: "وقد ذهب أمير عربي إلى أبواب مدينة الحسا، ورابط هناك سنة[٩٩]، واستولى على سور من أسوارها

الأربعة، وشن عليها غارات كثيرة، لكنه لم ينل من أهلها شيئاً. وقد سألني حين رآني عما تنبئ به النجوم[١٠٠]، قال: أريد أن أستولي على الحسا هل أستطيع أم لا، فإن أهلها قوم لا دين لهم؛ فأجبته بما فيه الخير له"[١٠١].

ولم يذكر ناصر خسرو اسم ذلك الأمير العربي ولا قبيلته، وهذا حرمنا من معلومات مهمة، ولو فعل ذلك لاتضحت الصورة أكثر ولأمكن ربط الأحداث بما سبقها. ولذلك لا نعلم هل هذا الأمير العربي الذي قابله ناصر خسرو سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م من أبناء الأصيفرالمنتفقي أو من أحفاده، أم أنه من غيرهم. وهل قبيلة المنتفق لا تزال تتزعم التصدي للقرامطة والسعي لإسقاط دولتهم، أم أن قوة قبلية أخرى حلت محلهم في ذلك.

ومهما يكن الأمر فما ذكره ناصر خسرو يعد في غاية الأهمية، فهو شهادة شاهد عيان تؤكد بشكل قطعي استمرار حكم القرامطة في الأحساء، ومن ناحية أخرى تؤكد استمرار مقاومة القوى القبلية المحلية لهم بكل حزم وقوة. كما أنها تؤكد أيضاً أن تلك القوى كانت تنظر للقرامطة على أنهم فئة منحرفة، أو كما جاء على لسان ذلك الأمير العربي" قوم لا دين لهم".

ثورة أبي البهلول وانتزاع جزيرة أوال من ملك القرامطة:

أبو البهلول اسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج وهو من قبيلة عبد القيس المشهورة، وكان أبو البهلول يقيم في جزيرة أوال هو وعشيرته، وله علاقات جيدة مع والي جزيرة أوال من قبل القرامطة جعفر بن أبي محمد بن عرهم، وقد عهد إليه الوالي بأن يكون ضامناً لخراج أوال، وكان لأبي البهلول أخ اسمه مسلم ويكنى بأبي الوليد وهو على قدر من العلم والتدين والرغبة في تطبيق أحكام الشرع وإحياء السنة[١٠٢]، وبسب ما كانت تقوم عليه معتقدات القرامطة من الخرافات وإبطال شعائر الدين لم يكن في جزيرة أوال مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة.

فطلب أبو البهلول من الوالي السماح له ببناء مسجد جامع،وذكر أن هذا من شأنه استجلاب مزيد من التجار المسلمين إلى جزيرة أوال؛ لأن كثيراً منهم أصبحوا يتجنبون القدوم إليها لعدم وجود مسجد فيها تقام فيه صلاة الجمعة، وأنه يخشى أن يتطور الأمر إلى كساد الحركة التجارية في الجزيرة، في حين أن وجود المسجد سوف يشجع التجار على القدوم، ومن ثم تتضاعف عائدات التجارة. وقدّم أبو البهلول مبلغاً كبيراً من المال للقرامطة قدره ثلاثة آلاف دينار مقابل السماح له ببناء المسجد[١٠٣].

كتب والي أوال بذلك إلى حكومة القرامطة في مركزها بالأحساء، فجاء الجواب بالموافقة، وأن يأخذ الوالي من أبي البهلول ما بذله من مال ويسمح له ببناء المسجد، ويبدو أن حاجة القرامطة للمال كانت وراء هذه الموافقة، وعلى أي حال فقد شرع أبو البهلول في بناء المسجد، ولما تم بناؤه، عهد بالإمامة فيه والخطابة لأخيه أبي الوليد مسلم بن محمد الزجاج، وكانت المفاجأة أن أبا الوليد خطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)[١٠٤].

اعترض أتباع القرامطة الذين على مذهبهم على هذا الأمر،وقالوا: هذه بدعة أحدثها بنو الزجاج بالحيلة والخُداع، ويجب أن يمنعوا من الخطبة، ولا يمكنوا من صلاة الجماعة. أما أبو البهلول فقد أعلن موقفه بوضوح، وقال: أننا ما بذلنا الأموال إلا لأجل إقامة شعائر هذا الدين، ثم استجلاب التجار إلينا وترغيبهم في معاملتنا،فإن كرهتم هذا فردوا إلينا ما أخذتموه من الأموال، ونحن نمسك عما قصدناه، وإن نقصت به معاملاتنا، وقلت بسببه فوائدنا[١٠٥].

وكتب والي أوال ابن عرهم إلى القرامطة يبلغهم بهذه المشكلة، ويطلب الرأي، ويبدو أنه أثنى على أبي البهلول وأبدى موقفاً مؤيداً له، وجاء جواب القرامطة بأن لا يُعترض أبو البهلول وأتباعه في مذهبهم، ولا يمنعوا عن خطبتهم[١٠٦]. وقد أدى هذا

إلى ارتفاع مكانة أبي البهلول وأخيه عند الناس، لأن معظم أهل جزيرة أوال كانوا كارهين لمعتقدات القرامطة، وراغبين في إقامة شعائر الدين. ولم تحدد المصادر تاريخ هذه الأحداث، ولكن يرجح أنها كانت في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م.

واستمر أبو البهلول في الخطبة للخليفة العباسي القائم مدة من الزمن، ثم حدثت متغيرات في ميزان التنافس بين العباسيين والفاطميين في منتصف القرن الخامس الهجري، حين وقعت فتنة أبي الحارث البساسيري[١٠٧] وتمكن من دخول بغداد وإقامة الخطبة فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م) في أواخر سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. حينئذٍ تحرك أنصار القرامطة مرة أخرى في جزيرة أوال، وقالوا لأبي البهلول أن الذي تخطبون له قد بطل حكمه في بغداد، وصارت الخطبة فيها للمستنصر بالله صاحب مصر، ويجب أن تكون الخطبة في أوال له أيضاً. ورفض أبو البهلول هذا وكتب إلى القرامطة وبعث إليهم بهدية قيّمة، وطلب السماح له بالاستمرار في الخطبة للخليفة العباسي. وجاء جواب القرامطة بالموافقة على ما طلبه أبو البهلول، وأن لا يغير له رسم ، ولا يفسخ له شرط، وليخطب أخوه لمن شاء وأحب[١٠٨].

وموقف أبي البهلول هذا زاد من علو شأنه وارتفاع مكانته وتقدير الناس له، ويلاحظ أن حركة أبي البهلول الإصلاحية هذه بدأت بداية سلمية، لكن مجريات الأمور ما لبثت أن تغيرت، فقد كتب القرامطة إلى ابن عرهم واليهم على جزيرة أوال بأن يفرض ضرائب مضاعفة على أصحاب الأموال والأملاك، ونظراً لحسن علاقة ابن عرهم بأعيان أوال وأهلها، فقد استدعى الأعيان وعلى رأسهم أبو البهلول، وأطلعهم على مضمون الخطاب الذي وصله، واتفق رأيهم على رفض هذا الأمر[١٠٩].

وكتب ابن عرهم إلى القرامطة أن القوم رفضوا هذا الأمر، وأنه ليس بإمكانه

إرغامهم بالقوة، ولهذا كف عنهم. وغضب القرامطة واغتاظوا من فعل أعيان أوال، ومن فعل الوالي، فعزلوا ابن عرهم وعينوا بدله والياً جديداً[١١٠]، وطلبوا منه تنفيذ الأمر بالقوة، والقبض على كل من له مال ومصادرته[١١١].

ولما علم أبو البهلول سارع إلى جمع أهله وعشيرته ومن يثق به من أعيان البلد، وأبلغهم بما جرى من عزل ابن عرهم وما عزم عليه القرامطة، فانتابهم الخوف أول الأمر، لكن أبا البهلول طلب منهم الصمود والتصدي للقرامطة، فوافقوه وعاهدوه على أن يسمعوا له ويطيعوا. بعد ذلك قال لهم: إن هذا الأمر لن يتم لنا إلا إذا دخل معنا فيه أبو القاسم بن أبي العريان[١١٢]، وكان ابن أبي العريان من أعيان أوال وذوي المكانة وله عشيرة وأتباع، فقالوا له أفعل ما تراه فقد فوضنا الأمر إليك[١١٣].

توجه أبو البهلول بعد ذلك مباشرة إلى ابن أبي العريان، ومعه مجموعة من الأعيان، وأبلغه بصورة الحال، ثم قال: إن هؤلاء القوم حضروا وسمعوا لي وأطاعوا، وأنا لا أصلح لذلك إلا أن تدخل معي فيه، وتكون يدي ويدك معاً، فإن فعلت تعاضدنا وتساعدنا، وحمينا أنفسنا وأموالنا. فوافق أبو العريان على ذلك، وتحالفا وتعاهدا عليه، وقررا أن يجعلا إعادة ابن عرهم لولاية أوال شرطاً لطاعتهم للقرامطة، وأعلنا أنهما سوف يعملان على حفظ أنفسهم وأموالهم من الوالي الجديد، وأخذا يعرضان هذا الأمر على مزيد من الأعيان وذوي المكانة، ولقيا استجابة كبيرة، حتى بلغ عدد أتباعهما نحو ثلاثين ألف رجل[١١٤].

أما والي أوال الجديد فإنه ما أن علم بالأمر حتى اهتم منه كثيراً، وجمع حوله جنود القرامطة، وقرر أن يباغت أبا البهلول وابن أبي العريان ويقبض عليهما. لكنهماعاجلاه بالمواجهة، فدخل معهما في قتال لم يستطع الصمود فيه، فهرب بعد أن قُتل عدد من أصحابه، وغادر جزيرة أوال[١١٥].

بعد هذه المواجهة مع والي القرامطة، كتب أبو البهلول وابن أبي العريان إلى

القرامطة كتاباً جاء فيه أنهما لن يعودا إلى الطاعة، ولن يرجعا عن المخالفة إلا بعد ردّ ابن عرهم إلى ولاية أوال. وكان رد القرامطة عليهما شديداً وحازماً جاء فيه أنه لا سبيل لإعادة ابن عرهم، وأن العساكر سوف تصل إليهم وتتحكم فيهم[١١٦].

وفي سبيل الاستعداد لمواجهة أبي البهلول وابن أبي العريان أرسل وزير القرامطة أبو عبدالله بن سنبر أحد أبنائه على رأس مجموعة من أعوانه إلى عمان لجلب مزيد من الأسلحة والأموال، وعلم أبو البهلول وابن أبي العريان بهذا الأمر،فأعدا قوة من أتباعهما وكمنا له في طريق عودته من عمان، وقتلاه مع أربعين رجلاً من أتباعه، وأخذا ما معه من سلاح ومال، وكان ثلاثة آلاف رمح وخمسة آلاف دينار[١١٧]. وبهذا صعّد أبو البهلول المواجهة مع القرامطة.

ولما علم ابن سنبر بما حدث لابنه ومن معه أدرك صعوبة المواجهة مع أبي البهلول وابن أبي العريان، فلجأ إلى الحيلة والمكر، وعمد إلى مكاتبة ابن أبي العريان والاتصال به سراً ووعده بالأموال الجزيلة وأن يسند إليه ولاية جزيرة أوال، إن هو وافق على التعاون مع القرامطة، وقد أغرت هذه الوعود ابن أبي العريان، واتفق مع القرامطة على أن يرسلوا جيشاً من قبلهم إلى جزيرة أوال، وإذا وصل الجيش وثب هو على أبي البهلول وقتله وفتح الطريق لجيش القرامطة للسيطرة على الجزيرة.

ويبدو أن عيون أبي البهلول واستطلاعاته كانت قوية، وأنه كان على حذر وتيقظ، فقد علم بهذا الأمر، وبادر بالاجتماع بكبار أتباعه وأطلعهم عليه، وذكر لهم أنه من غير المناسب الدخول في مواجهة مع ابن أبي العريان في هذا الوقت لأنه يمتلك قوة كبيرة والقرامطة من ورائه. وقال: إن الرأي هو انتهاز أقرب فرصة لاغتيال ابن أبي العريان والتخلص منه، وإلا فإنه آكلنا ومتقرب بنا إلى القرامطة. ووافق أتباع أبي البهلول على هذا الرأي، واستغلوا فرصة خروج ابن أبي العريان في إحدى الليالي للاغتسال في إحدى العيون فقتلوه. ولما اكتشف أمر مقتله توجه جمع من أقاربه

إلى أبي البهلول واتهموه بقتله، فحلف لهم أنه لم يقتله، وأرضاهم بالأموال وانتهى الأمر[١١٨].

أما القرامطة فقد أعدوا جيشاً قوياً، جله من أعراب بني عامر، وحملوه على مئة وثمانين سفينة توجهت إلى جزيرة أوال، ولم ينتظر أبو البهلول وصولهم إلى الساحل بل أعد من قبله جيشاً حمله على مائة سفينة، وسارع إلى مواجهة القرامطة في عرض البحر، وكان أثناء إعداد الجيش والاستعداد للمواجهة قد وقع من على فرسه وكسرت ساقه، لكنه أصر على المشاركة في القتال وقيادة الجيش، ودارت معركة حامية الوطيس بين جيش أبي البهلول وجيش القرامطة أسفرت عن هزيمة ساحقة للقرامطة بعد أن غرقت بعض سفنهم، استولى أبو البهلول على بعضها، وعلى كثير من الأسلحة ، وهربت البقية الباقية[١١٩]، وكان لحسن قيادة أبي البهلول وحنكته ومهارته العسكرية أثر فاعل في حسم الأمر لصالحه. يضاف إلى ذلك أن أهل أوال أنفسهم كانوا يكرهون ما أحدثه القرامطة من معتقدات باطلة، ويرغبون في التخلص من حكمهم،ولهذا ساندوا أبا البهلول بقوة.

وهذا النصر الكبير الذي حققه أبو البهلول ثبت أقدامه في جزيرة أوال وأنهى آمال القرامطة في استعادتها، وفي المقابل كان لهذه الهزيمة التي حلت بالقرامطة آثار بالغة السوء على وضعهم العسكري، فقد قضت على البقية الباقية من قدرتهم على التحرك ومواجهة الثورات والتمردات خارج مركزهم في الأحساء، وشجعت قوى قبلية أخرى على الثورة عليهم، كما كان لها أثر كبير على وضعهم الاقتصادي، فقد فقدوا مركزاً اقتصادياً مهماً كان يمد خزينتهم بالأموال.

ولم يكتف أبو البهلول بهذا النصر، بل تابع المواجهات مع القرامطة في عمق أراضيهم على سواحل القطيف والعقير، وكان من أهم غاراته وأعماله العسكرية مهاجمة ميناء العقير وتدميره[١٢٠]، وهذا الميناء هو أهم منافذ القرامطة البحرية

على الخليج، وأقربها إلى مركزهم في الأحساء، وكان تدميره ضربة أخرى قوية للقرامطة.

كانت طموحات أبي البهلول تتجاوز أمر انتزاع جزيرة أوال من القرامطة والاستئثار بحكمها، فهو يتطلع إلى القضاء التام على دولة القرامطة، وإزالة ما أحدثوه من بدع، وحكم بلاد البحرين كلها، وقد عبّر عن هذا في كتاب طويل بعثة إلى الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف[١٢١] صاحب ديوان الخلافة في بغداد[١٢٢]، بعد الانتصار الذي حققه على القرامطة ، وبعد أن استقرت له الأمور في جزيرة أوال، والكتاب جاء في أوله:" من المستقر بجزيرة أوال، لسبع بقين من ذي القعدة"، ولم تحدد السنة، ولكن يستنتج مما ورد في ثنايا الكتاب أن المراد سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، فقد ورد فيه:"وقد مضت لهذه الدولة القرامطية المشئومة مئة وإحدى وسبعون سنة"، ومعلوم أن دولة القرامطة قامت سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، وبهذا يكون انتصار أبي البهلول على القرامطة قد وقع في سنة ٤٥٧هـ على الأرجح.

والحق أن كتاب أبي البهلول إلى ديوان الخلافة يعد وثيقة في غاية الأهمية عن تاريخ بلاد البحرين في مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وهي فترة مهمة والمعلومات عنها نادرة، ومما ورد في هذا الكتاب تأكيد معاناة أهل هذه البلاد من تسلط القرامطة، وما أحدثوه من بدع وتعطيل لشعائر الدين، وبيان جهود أبي البهلول وجهود أتباعه من بني عبد القيس في مقاومة القرامطة، وأنهم إنما قاموا بذلك انتصاراً للدين واستشعاراً لطاعة الدولة العباسية، وقال إنه هو وأتباعه:"طريقتهم الطاعة، ومذهبهم السنة والجماعة، على مذهب الإمام أبي حنيفة، به يعرفون وعليه يحيون ويموتون"[١٢٣].

والكتاب يتضمن طلب العون والمساعدة من الخلافة بتقديم الأموال خاصة، من أجل التمكن من مواصلة جهاد القرامطة، والقضاء التام عليهم، قد أكد أبو

البهلول في أكثر من موضع على أمر مهم، وهو أن سرّ قوة القرامطة وقدرتهم على الصمود يكمن في تحالفهم وتعاونهم مع بعض قوى الأعراب البدوية، وبذلهم الأموال لهم، وأنه لو توفر المال لأمكن صرف هؤلاء الأعراب عن مناصرة القرامطة، ومن ثم يمكن القضاء عليهم بسهولة. ومما قاله في هذا الشأن:"ولو قيض الله برحمته لنا مساعداً يساعدنا بمال ينفقه لوجه الله سبحانه وتعالى، أو زكاة يصرفها إلينا رغبة فيما عند الله لحططت بها أوزار هؤلاء الكفرة، وأمطت بقوته آصار القرامطة الفجرة، ولأرضيت الأعراب المطيفين بهم، المتفرقين حول بابهم. ولسرت إلى الأحساء بالأحشاد والرجال، والصناديد والأبطال، ولملكتها واحتويتها بلا منازلة ولا قتال، وكان ذلك أقرب زلفى إلى الله تعالى، وأفضل عنده مما توصل به أجنحة مجاهدي الروم. فبالله الذي لا إله إلا هو يميناً برة وقسماً حقاً لجهاد القرامطة وقتالهم أفضل من سواهم، وإن رشقاً واحداً يرمى به في وجوههم، وسهماً مرسلاً يصل إلى رجل من عديدهم ليوزن بسبعين سهماً يرمى في الهند والروم؛ لأنهم من ذوي الدين المذموم"[١٢٤].

ويبدو أن أبا البهلول لم يظفر من العباسيين بالمساعدة التي كان يأملها، فالمصادر لا تشير إلى أنهم دعموه بمال أو رجال، ولعل عدم استقرار الأوضاع السياسية في بغداد في تلك الآونة كان السبب في ذلك.

ويعد أبو البهلول بن الزجاج أول من قاد تحركاً من فئة السكان الحضر المستقرين في بلاد البحرين المنتمين للبيئتين البحرية والزراعية للخلاص من سلطة القرامطة، وقد نجح في انتزاع جزيرة أوال منهم والحق بهم هزيمة ساحقة، وبهذا فتح الطريق أمام الآخرين للتحرر من حكم القرامطة. أما عن مصير أبي البهلول وثورته فقد كان على يد ثائر آخر من قبيلة عبد القيس نفسها هو يحيى بن العياش.

ثورة ابن العياش وانتزاع القطيف من ملك القرامطة:

يحيى بن العياش الجذمي ينتمي إلى بني جذيمة بن عوف، وهم بطن كبير من قبيلة عبد القيس المشهورة في بلاد البحرين، وسبق أن أشرنا إلى أن القطيف كانت من مواطن بني جذيمة عند ظهور القرامطة وأن الزعامة فيها كانت لهم، وكان رئيسهم في ذلك الحين علي بن مسمار الجذمي، والقطيف هي أول مدينة استولى عليها أبو سعيد الجنابي مؤسس دولة القرامطة، وتم له ذلك بعد أن الحق الهزيمة ببني جذيمة وقتل رئيسهم علي بن مسمار[١٢٥]. ويحيى بن العياش من بني جذيمة يقيناً، لكننا لا نعلم هل هومن بني مسمار أم من فخذ آخر من جذيمة.

ولا تتوافر معلومات مفصلة عن بداية ثورة ابن العياش وكيف تكمن من السيطرة على القطيف وما حولها، ولكن من المرجح أنه استغل حالة الضعف التي حلت بالقرامطة بعد الهزيمة التي ألحقها أبو البهلول بجيشهم، ونجاحه في طردهم من جزيرة أوال، فقام بالثورة على القرامطة واستطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وما جاورها من بلاد الساحل وطرد منها عمال القرامطة واستقل بحكمها[١٢٦]، وبهذا يكون قد استعاد ملك عشيرته من بني جذيمة في هذه البلاد بعد نحو مئة وثمانين عاماً من سيطرة القرامطة عليها، ونجاح ابن العياش في انتزاع القطيف وما حولها يعد ضربة أخرى قوية ضعضعت أركان دولة القرامطة، وأفقدتهم جزءاً آخر مهماً من بلاد البحرين، ولم يبق في أيديهم سوى الأحساء فقط. ولم تذكر المصادر تاريخ استيلاء ابن العياش على القطيف، ولكن من المرجح أنه كان في مطلع العقد السادس من القرن الخامس الهجري في حدود سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م.

لم يكتف يحيى بن العياش بانتزاع القطيف من سيطرة القرامطة، بل كانت طموحاته أبعد من هذا فهو يرغب أن يحكم بلاد البحرين كلها سواء الأحساء التي لا تزال بيد القرامطة،أو جزيرة أوال التي استقل بحكمها أبو البهلول بن الزجاج،

لذلك ما أن استقرت قدمه في القطيف حتى أخذ يوجه أنظاره إلى الأحساء حيث القرامطة، لكنه كان يدرك أن القضاء على القرامطة يحتاج إلى دعم عسكري ومادي وسياسي، لهذا سعى للاتصال بالخلافة العباسية في بغداد ممثلة في السلاجقة الذين كانت بأيديهم مقاليد الأمور في ذلك الوقت، وكان رأي ابن العياش أن يكون عون الخلافة له دعماً مالياً بالمال مع عدد قليل من الجنود في حدود مئتين ، يكونون تحت قيادته وضمن جيشه ويأتمرون بأمره، وفي المقابل وعد في حال نجاحه في القضاء على القرامطة أن يدعو في الخطبة للخليفة العباسي ثم للسلطان السلجوقي، وأن يرسل جزءاً من إيرادات بلاد الأحساء لخزينة الدولة العباسية في كل سنة[١٢٧].

وقد أسفرت هذه الاتصالات عن موافقة السلطان جلال الدولة ملك شاه السلجوقي[١٢٨]، ووزير نظام الملك[١٢٩] على إرسال قوة لمساعدة ابن العياش، ويبدو أنهما وجدا في هذا الطلب فرصة للقضاء على القرامطة، ومد نفوذهم السياسي والعسكري على هذه المنطقة المهمة.

وتم إعداد جيش قوي أسندت قيادته إلى القائد التركماني كجكينا، وهو أحد حجاب السلطان جلال الدولة، ولم يلتزم السلاجقة بما طلبه ابن العياش فهذا الجيش يبلغ عدد جنوده نحو سبعة آلاف بعضهم من الجنود التركمان العجم، وبعضهم من قبائل الأعراب، وقائده يعد من الشخصيات الكبيرة في بلاط السلطان السلجوقي، وعندما اقترب الجيش من القطيف ارتاب ابن العياش في نوايا السلاجقة، وقدر أنهم بهذا الجيش الكبير يسعون لفرض سيطرتهم المباشرة على بلاد البحرين، لذلك امتنع عن التعاون مع هذا الجيش ورفض مقابلة قائده، وقال إنه طلب مساعدة محدودة بنحو مئتي فارس يكونون تحت قيادته وضمن جيشه، أما أن يأتيه جيش كبير بقيادة حاجب السلطان فإنه لا يأمن مقابلته ومشاركته، ويخشى غدره[١٣٠].

وتحصن ابن العياش في القطيف ودارت بينه وبين كجكينا مراسلات لم تسفر عن اتفاق، فقد كان ابن العياش مصراً على عودة جيش السلاجقة من حيث أتى، ثم تطور الأمر إلى مناوشات وقتال بين الطرفين، وزاد الأمر سوءاً عندما عمد ابن العياش إلى الاتصال سراً بعدد من زعماء القبائل المشاركين في جيش كجكينا ، وأغراهم وحثهم على الغدر والاستيلاء على المؤن وعلى الإبل التي بصحبة الجيش والفرار بها، ففعلوا ذلك، وعندما حاول الجنود التركمان تعقبهم، خرجت قوات ابن العياش من القطيف ونهبت ما بقي في المعسكر، حينئذٍ اضطر كجكينا إلى الانسحاب والعودة إلى البصرة وهو في أسوأ حال. وكان ذلك في سنة٤٦٨هـ/١٠٧٦م[١٣١].

وبعد فشل مشروع القضاء على القرامطة والاستيلاء على الأحساء، توجهت أنظار ابن العياش إلى جزيرة أوال الخاضعة لحكم أبي البهلول، فجهز جيشاً لهذا الغرض، وتختلف الروايات فبعضها يذكر أن يحيى بن العياش نفسه توجه على رأس الجيش إلى أوال ودارت بينه وبين أبي البهلول معركة انتهت بمقتل أبي البهلول وهزيمة جيشه، وسيطرة يحيى بن العياش على جزيرة أوال[١٣٢]، وروايات أخرى تذكر أن يحيى بن العياش توفي بعد تجهيز الجيش ، وأن ابنه زكريا الذي حل محله هو الذي قاد الجيش واستولى على أوال وقتل أبا البهلول[١٣٣].

وأياً كان الأمر فإن إمارة بني العياش قد توسعت وأصبحت تضم مركزين من أهم مراكز بلاد البحرين هما القطيف وأوال.

ثورة عبدالله بن علي العيوني وسقوط دولة القرامطة:

ينتمي عبدالله بن علي بن محمد بن إبراهيم العيوني إلى قبيلة عبد القيس المشهورة، وكان هو وعشيرته (آل إبراهيم) يقطنون بلدة العيون لذلك لقب بالعيوني، والعيون بلدة تقع في نطاق واحة الأحساء في الجهة الشمالية منها، وهي تبعد عن مدينة الأحساء مركز القرامطة نحو عشرين كيلاً إلى الشمال[١٣٤].

من هذا الموقع القريب من مركز القرامطة بدأ عبد الله بن علي العيوني تحركه وثورته ضد القرامطة، ويقدر أن بداية تحركه كانت في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، فقد ورد في شرح ديوان ابن المقرب أن عبدالله بن علي استمر في مواجهة القرامطة سبع سنوات حتى تمكن من التغلب عليهم وإسقاط دولتهم[١٣٥]، وسقوط دولة القرامطة كان في سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م.

والمعلومات عن الفترة الأولى من ثورة عبدالله بن علي العيوني نادرة ويبدو أنه استغل ضعف القرامطة بعد نجاح أبي البهلول في هزيمتهم وانتزاع جزيرة أوال منهم، وشجعه أيضاً تحرك قوى أخرى مثل ابن العياش الذي استولى على القطيف، فلما رأى عبدالله بن علي العيوني قوة القرامطة أخذت تتلاشى، ومراكزهم أخذت تتهاوى، جمع عشيرته وأتباعه في بلدة العيون وأعلن ثورته على القرامطة، وبدأ صراعه معهم، ويلاحظ أن حركة عبدالله بن علي انطلقت من موقع قريب جداً من مركز القرامطة في مدينة الأحساء وعلى الرغم من ذلك لم يستطيعوا التصدي له والقضاء على ثورته، وهذا يؤكد حالة الضعف الشديد التي وصلوا إليها.

أدرك عبدالله بن علي أنه بقوته المحدودة لن يتمكن من القضاء على القرامطة وانتزاع مدينة الأحساء ذات التحصينات القوية، كما أن بعض القوى القبلية البدوية لا تزال تساند القرامطة وتتعاون معهم. ولهذا رأى أن من المناسب أن يطلب العون والمساعدة من الخلافة العباسية في بغداد، فكتب بذلك إلى السلطان السلجوقي جلال الدولة ملك شاه ووزيره نظام الملك، ولقي طلبه هذا استجابة من السلطات السلجوقية[١٣٦]، ولعل ذلك يرجع إلى رغبتهم في القضاء على القرامطة، ثم رغبتهم أيضاً في الانتقام من ابن العياش بسبب موقفة من جيش كجكينا، يضاف إلى ذلك رغبتهم في مد نفوذهم إلى هذه المنطقة المهمة من خلال التعاون مع القوى المحلية الفاعلة فيها.

وتم بالفعل إعداد جيش قوي يتكون من نحو سبعة آلاف جندي وأسندت قيادته إلى شخصية ذات كفاءة عسكرية وإدارية،هو القائد أرتق بك التركماني المعروف (بإكسكسلار)[١٣٧]، وتحرك هذا الجيش من بغداد مروراً بالبصرة ثم توجه إلى القطيف، وعندما اقترب منها أدرك زكريا بن يحيى بن العياش أنه لا قبل له بجيش السلاجقة، فانسحب إلى جزيرة أوال، ودخل أرتق القطيف في شعبان سنة ٤٦٩هـ/ مارس ١٠٧٦م، وصادر ما فيها من ممتلكات ابن العياش، ثم واصل طريقه إلى الأحساء بعد أن ترك في القطيف حامية تدير شؤونها[١٣٨].

وعلى مشارف الأحساء اجتمع أرتق بعبد الله بن علي العيوني وجيشه، واشتركا معاً في فرض حصار على القرامطة في مدينة الأحساء، لكن الأحساء كانت مدينة حصينة ذات أسوار قوية، ولهذا لم تتمكن قواتهما من اقتحامها، وطال الحصار وامتد بضعة أشهر، وأثناء ذلك قام أرتق بك بغارات على بعض القبائل المتحالفة مع القرامطة وعلى رأسها بنو عامر[١٣٩].

ودخل فصل الصيف بحرارته الشديدة في بلاد الأحساء التي لم يعتد عليها جنود التركمان، فكان لها أثر كبير عليهم إضافة إلى أن الأقوات والمؤن شحت، وساءت حالة جيش السلاجقة وتسرب الملل إلى نفوس الجنود. وتشاور أرتق مع عبد الله بن علي العيوني في الأمر، فأكد عبدالله أنه قادر على مواصلة حصار القرامطة ومواجهتهم بما لديه من قوات، ويكفي أن يبقى معه نحو مئتين من فرسان جيش السلاجقة. فترك أرتق القوة التي طلبها عبدالله بن علي وانسحب بجيشه وعاد إلى بغداد[١٤٠].

بعد انسحاب أرتق عاد زكريا بن العياش إلى القطيف واستردها وطرد الحامية السلجوقية منها. أما عبدالله بن علي فقد واصل حصار القرامطة في الأحساء، وبعد أن طال الحصار وضيق عليهم، قرر القرامطة الخروج لمواجهته بعد أن طلبوا

العون من بعض القبائل المتحالفة معهم، وقد دارت بين عبدالله بن علي والقرامطة وأتباعهم معركة حامية الوطيس في سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م، أسفرت عن انتصار حاسم لعبدالله بن علي وقواته، وتمكنه من دخول مدينة الأحساء والسيطرة على قلعتها وقصر الإمارة بها وسائر أرجائها[١٤١]، وأجهز على دولة القرامطة في سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م[١٤٢]. بعد أن حكمت بلاد البحرين نحو مئة وأربع وثمانين سنة (٢٨٦-٤٧٠هـ/٨٩٩-١٠٧٨م).

وقد أشار ابن المقرب العيوني إلى هذه المواجهة والنجاح الذي حققه عبدالله بن علي العيوني بالقضاء على دولة القرامطة في قصيدة طويلة، منها قوله:

سل القرامط من شظي جماجمهم فلقاً وغادرهم بعد العلا خدما

من بعد أن جلّ بالبحرين شأنهم وأرجفوا الشام بالغارات والحرما[١٤٣]

ولم يكد عبدالله بن علي العيوني يفرغ من أمر القرامطة حتى واجهته مشكلة أخرى، ذلك أن زكريا بن العياش صاحب القطيف وأوال ما أن بلغته أخبار انتصار عبدالله بن علي على القرامطة، وسيطرته على مدينة الأحساء حتى تحركت أطماعه ورغب في انتزاع الثمرة منه، واستكمال السيطرة على بلاد البحرين كلها، فزحف بقواته نحو الأحساء، وعندما علم عبدالله بن علي بذلك بادر بالخروج على رأس جيش كبير للتصدي لابن العياش، ودارت بينهما معركة قرب قرية تسمى ناظرة[١٤٤]، انتهت بهزيمة زكريا بن العياش وتراجعه بفلول أتباعه نحو القطيف، فتبعه عبدالله بن علي، وأدرك ابن العياش أنه لا يستطيع الدخول في مواجهة أخرى فانسحب إلى جزيرة أوال.

وتمكن عبدالله بن علي من السيطرة على القطيف، وكان رجلاً حازماً بعيد النظر فقرر أن يحسم الأمر بمواصلة تعقب ابن العياش واستكمال السيطرة على بلاد البحرين، وجهز جيشاً أسند قيادته إلى ابنه الأكبر الفضل، وحمله على السفن

إلى جزيرة أوال، وعلى أرض أوال دارت معركة أخرى هزم فيها زكريا بن العياش وقُتِل وزيره ومستشاره الملقب بالعكروت الذي كان يتصف بالشجاعة والدهاء، واضطر ابن العياش إلى الفرار إلى العقير مع بعض أتباعه، وتمكن الفضل بن عبدالله العيوني من السيطرة على أوال[١٤٥]، وبهذا أصبحت بلاد البحرين كلها تحت حكم عبدالله ابن علي العيوني.

أما زكريا بن العياش فقد جمع من بقي من أتباعه واتصل ببعض القبائل البدوية وطلب منهم العون، واستطاع أن يكون جيشاً توجه به نحو القطيف في محاولة لاستردادها، إلا أن عبدالله بن علي خرج إليه وواجهه في الطريق، ودارت بينهما معركة قتل فيها زكريا بن يحيى بن العياش وهزم جيشه، وانتهى أمره[١٤٦]، واستقرت قدم عبدالله بن علي في بلاد البحرين، بعد أن تغلب على منافس قوي وحاز القطيف وأوال إلى ملكة، وقد صور ابن المقرب العيوني جانباً من المواجهات بين عبدالله بن علي وابن العياش بقوله:

ولـــم ينـــج ابن عيـاش بـمهجتـــه
يـمّ إذا مـا يـــراه النـاظـــر ارتسمـــا
أتـــى مغيراً فوافـى جـــو "نـــاظـــرة"
فعاين المـوت منّا دون مـــا زعمـــا
فراح يطرد طرد الوحوش ليس يرى
حبل السلامة إلا السوط والقدمـا
فانصاع نحـو أوال يبتغي عِصَماً
إذ لم يجد في نواحي الخط[١٤٧] معتصما
فأقحم البحر منـا خلفه ملك
ما زال مذ كان للأهوال مقتحمـــا

فحـــاز ملـك أوال بعـد مـا تـــرك

العكـــروت بالسيف للبـــوغـاء ملـتـزمـــا

فـصار ملـك ابن عياش وملـك أبي

البهلول مـع ملـكنـا عقـــداً لنـا نظـمـا[١٤٨]

لم تقتصر العقبات التي واجهت عبدالله بن علي إثر نجاحه في إزالة دولة القرامطة وتأسيس الدولة العيونية على أطماع ابن عياش والمواجهات معه، بل إن القوى القبلية البدوية التي كانت تربطها علاقات تحالف ومصالح مع القرامطة، كانت هي الأخرى تمثل مركز قوى خطيراً في بلاد البحرين، فأرادت هذه القوى وعلى رأسها بنو عامر أن يحافظوا على ما كان لهم من مكانة ونفوذ، وعلى ما كانوا يحصلون عليه من أموال في عصر القرامطة، فطلبوا من عبدالله بن علي أن يدفع لهم العوائد التي كانوا يحصلون عليها من القرامطة، فرفض عبدالله بن علي، فأخذ بنو عامر يجمعون الجموع لحربه فبادر بالخروج إليهم، ودارت بينهما معركة انتصر فيها عبدالله بن علي انتصاراً حاسماً، وحلت ببني عامر هزيمة قاسية، وقتل عدد كبير من زعائمهم، وكسرت شوكتهم، وبدد شملهم[١٤٩]. وبانتصار عبدالله بن علي على القوى القبلية البدوية ممثلة في بني عامر أحكم سيطرته على بلاد البحرين، وأثبت مقدرته، وأكد استقرار دولته الناشئة.

الخاتمــة

بسقوط دولة القرامطة على يد عبدالله بن علي العيوني سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م تحقق الهدف الذي طالما سعت إليه القوى القبلية المحلية في بلاد البحرين، منذ ظهور الأصيفرالمنتفقي وتصديه للقرامطة وهزيمته لجيشهم، ومهاجمتهم في عقر دارهم، وانتزاع السيطرة على طريق الحج العراقي، وبوادي شمال البحرين منهم، ومروراً بذلك الأمير العربي (المجهول) الذي قابله الرحالة ناصر خسرو في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وذكر أنه حاصر القرامطة في مدينة الأحساء مدة سنة، وأنه كان يسعى للقضاء عليهم. ثم سلسلة ثورات بطون قبيلة عبد القيس بدءاً بثورة أبي البهلول بن الزجاج الذي تمكن من إلحاق هزيمة قاسية بجيش القرامطة وقضى على البقية الباقية من قدرتهم على التحرك ومواجهة الثورات والتمردات خارج مركزهم في الأحساء، ونجح في انتزاع جزء من بلاد البحرين منهم ممثلاً في جزيرة أوال (البحرين) ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة، ثم ثورة ابن العياش وسيطرته على القطيف وما حولها، وأخيراً ثورة عبدالله بن علي العيوني الذي استفاد من نتائج الثورات السابقة وتمكن من الإجهاز على دولة القرامطة بعد أن نجح في الاستيلاء على مدينة الأحساء مركز حكومتهم وآخر المعاقل التي بقيت في أيديهم.

لقد تتبعت هذه الدراسة مسيرة تلك الرحلة الطويلة من جهود القوى القبلية في بلاد البحرين في سبيل التحرر والتخلص من سيطرة القرامطة العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، وما صاحبها وارتبط بها من أحداث. وبعد هذا كله يمكن إيجاز أبرز الأمور التي كشفت عنها الدراسة فيما يلي:

١- أكدت الدراسة أن سكان بلاد البحرين من القوى القبلية العربية كان لهم اليد

الطولى في إضعاف دولة القرامطة وتقليص مجال نفوذها وشل حركتها أولاً، ثم القضاء عليها في آخر الأمر. وأن هذه القوى هي التي كانت تصنع الأحداث في المنطقة وتقود مسيرتها، وبها تعرف هوية الإقليم القومية والثقافية .

٢- تناولت الدراسة سياسة القرامطة تجاه القوى القبلية في بلاد البحرين، وبيّنت طبيعة علاقاتهم مع القوى البدوية، ووضحت أسباب التعاون بين الطرفين ودوافعه. وفي المقابل بيّنت أيضاً طبيعة علاقات القرامطة مع القوى القبلية الحضرية، ووضحت أسباب النفور والعداء بينهما.

٣- أشارت الدراسة إلى أن سياسة القرامطة القائمة على التعاون مع القوى القبلية البدوية شجعت على قدوم قوى قبلية إلى إقليم البحرين واستقرارها فيه، مثل بني عامر بن صعصعة الذين أصبح لهم شأن كبير في تاريخ بلاد البحرين في العصور التالية .

٤- ناقشت الدراسة رواية ابن خلدون عن تاريخ سقوط دولة القرامطة والجهة التي أسقطتها، وعن شخصية الأصيفر، مناقشة علمية فاحصة ناقدة، وكشفت بالأدلة والبراهين ما وقع فيها من وهم وأخطاء، وخلط بين شخصيتين مختلفتين، وأعادت بناء سياق الأحداث بصورتها الصحيحة اعتماداً على ما ورد في المصادر المتقدمة القريبة زماناً ومكاناً من موقع الأحداث. وأشارت إلى أن كل من حذا حذو ابن خلدون وأخذ بروايته هذه دون تمحيص فقد وقع في الأخطاء والأوهام نفسها.

٥- كشفت الدراسة أن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن هناك دولة أو إمارة ظهرت في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م وحلت محل القرامطة في حكم بلاد البحرين، وأطلق عليها اسم إمارة بني ثعلب، غير صحيح، وما ذكر عن سلسلة حكام هذه الإمارة (المزعومة) ونشاطاتها العسكرية، وامتداد نفوذها، كله من الخطأ

والتجاوز، بل والعبث بتاريخ هذا الإقليم، وهو أمر غير مقبول، حتى وإن كان من باب الوهم والخطأ غير المقصود الذي نتج عن التسرع وعدم التمحيص، فكتابة التاريخ أمانة ومسؤولية .

٦- مسار الأحداث يؤكد أن قبيلة عبد القيس ببطونها الكثيرة المنتشرة في المراكز الحضرية في بلاد البحرين كانت هي المكون الأساس في فئة القوى القبلية المتحضرة، وأن ثورات زعماء بطونها المختلفة على القرامطة كانت السبب المباشر في سقوط دولتهم. ولكن يلاحظ في المقابل أن هذه القبيلة لم تكن موحدة الزعامة والقيادة، وأن الذين تزعموا الثورات من بطونها لم يكونوا متعاونين فيما بينهم على الرغم من أن هدفهم الأساس واحد، وهو التحرر من سلطة القرامطة، بل أكثر من هذا فهم في واقع الأمر كانوا متنافسين متعادين، دخلوا في مواجهات وحروب، وقتل بعضهم بعضاً قبل سقوط دولة القرامطة وبعده. ولعل هذا الاختلاف والتنافس بين زعماء بطون عبد القيس الذي وصل إلى حد التناحر أحياناً، يفسر أمر تمكن القرامطة من السيطرة على هذه القبيلة وعلى بلاد البحرين في بداية ظهورهم، ثم استمرار هذه السيطرة مدة طويلة من الزمن. فلو أن عبد القيس كانت موحدة الزعامة والقيادة فلربما كان الحال غير الحال.

وأخيراً آمل أن تكون هذه الدراسة قد نجحت في تحقيق بعض ما يؤمل منها، من إسهام في تسليط الضوء على جانب من تاريخ بلاد البحرين خلال تلك الحقبة التي يكتنفها كثير من الغموض، والكشف عمّا وقع في بعض المصادر التاريخية القديمة، وبعض الدراسات الحديثة من أخطاء وأوهام وتداخل في المعلومات وخلط بين بعض الشخصيات التي ظهرت في تلك الحقبة، وما نتج عنه من خلل وزلل في تدوين تاريخ هذا الإقليم، ومن ثم وضع الأمور في سياقها الصحيح حتى لا يستمر الخطأ وتتسع دائرته.

الملاحــق

الملحق رقم (١)

خريطة إقليم البحرين

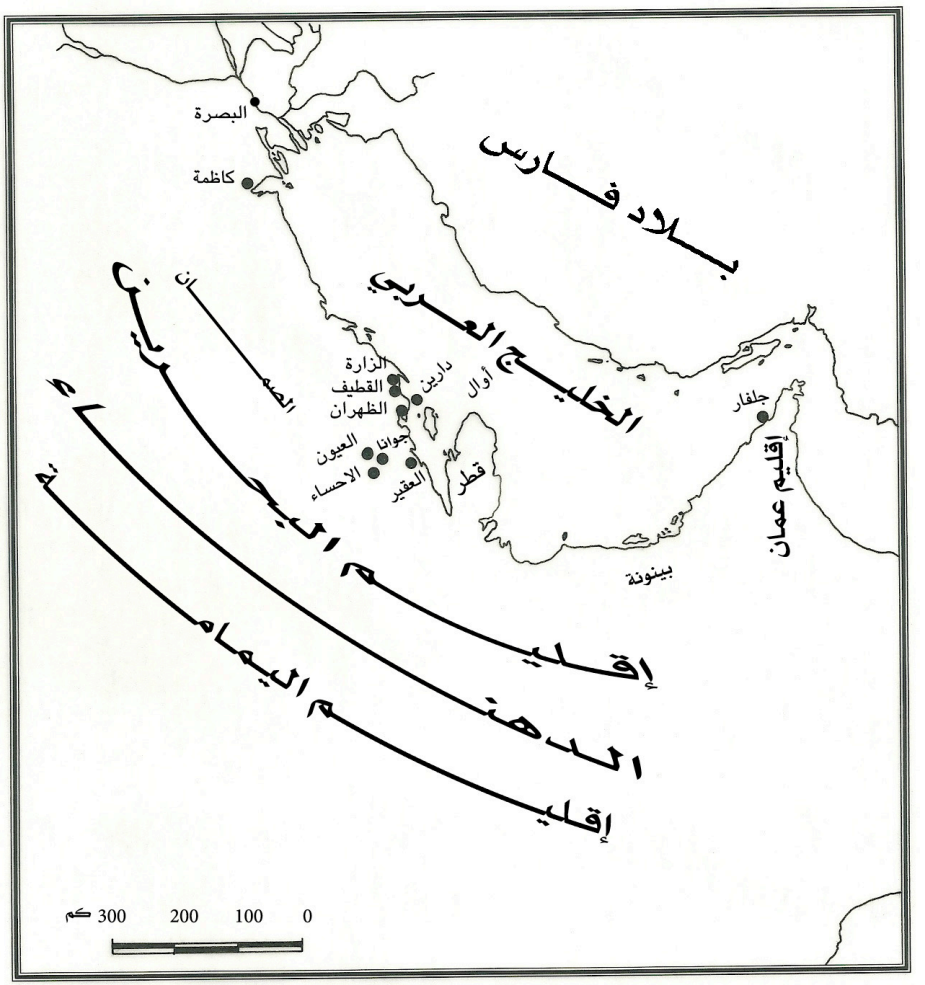

الملحق رقم (٢)

نصّ كتاب أبي البهلول العوام بن محمد الزجاج الذي أرسله إلى ديوان الخلافة في بغداد، مصور مما يعرف بالنسخة البرلينية من شرح ديوان ابن المقرب العيوني، وبياناتها كما يلي :

مكان الحفظ: المكتبة الوطنية في برلين بألمانيا.

رقم المخطوطة: ١٩٨.

المؤلف: مجهول، ويرجح أنه كان معاصراً لابن المقرب العيوني (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) وأنه أخذ بعض المعلومات عنه، أي أنه من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).

الناسخ: شرف الدين الحسيني.

تاريخ الفراغ من النسخ: السادس من رمضان سنة ٩٠١هـ.

مكان النسخ: حيدر أباد بالهند.

عدد أوراق المخطوطة: ٣٣٦ ورقة، ويلاحظ أن أوراق المخطوطة لم ترقم.

عدد الأسطر: ١٥ سطراً في كل صفحة (وجه).

ونص الكتاب ورد في شرح القصيدة الميمية المشهورة التي ذكر فيها ابن المقرب مفاخر قومه من بني عبد القيس عامة، وأمراء الدولة العيونية خاصة، وهذه القصيدة تبلغ مئة وخمسين بيتاً وهي من أطول قصائد ابن المقرب أن لم تكن أطولها على الإطلاق، وفيها معلومات تاريخية في غاية الأهمية، زادها قيمة وعززها ما ذكره شارح الديوان من إضافات وتفصيلات مهمة. ولعل خير شاهد على ذلك إيراده لنص كتاب أبي البهلول إلى ديوان الخلافة في بغداد، الذي يقع في نحو عشر صفحات، ويعد وثيقة ذات قيمة كبيرة في سجل تاريخ بلاد البحرين خلال حقبة تتسم بندرة المعلومات وقلة المصادر.

وهرب ابن سنبر الى الساحل واستولى ابو البهلول على بقية الشذات واخذ نحو
مائتي فرس وشيئا كثيرا من السلاح واسنا من اليه من كان فيها من اهل السواد و
حلفوا ان ابن سنبر اخذهم قهرا لا ايثارا وقسرا لا اختيارا وضمن باربعين رجلا من
من اصحاب القرامطة فقتلهم وعاد وقد تثبت قدمه وقوى امره وتم غرضه وانتظمت
حاله ورد الى اخيه ابي الوليد وزارته وكتب الى ابي منصور ابن يوسف صاحب
ديوان الخلافة

نسخة كتاب ابي البهلول الى ديوان الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب اطال الله بقاء الشيخ الاجل الاوحد ادام الله تمكينه
ورفعته وعلوه وقدرته وبسطته وصرف ايامه ونعمه وكبت عدوه وخذل
حسدته من المستقر بحضرة او الى السبع بقيون من ذي القعدة والسلامة مستدرة
خلاف والنعمة مستقرة الائتلاف بيركته ويمن طايره والحمد لله حمدا يرضيه
والجزيل من مواهبه ويقتضيه والصلوة الدايمة على محمد نبيه المصطفى
طاهرين ولا يخلو ناقل علم وخبر وحامل فهم واثر من المعرفة بمن اجاب
الله واطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتخذ طاعته سعادة وبلى
فيها الذات الله اخباره وكان ممن صفت سريرته وخلصت لله ولرسوله صلى الله
عليه وآله وسلم طويته وهاجر من وطنه اليه وقدم من مستقره ومسكنه عليه

الفرد

الفئة المحرّرة والقرمطة لفئة القطرية من آل عبد القيس ذوي الحفيظة والحمية
والنفوس العزيزة الأبية قطعوا اليه المفاوز والقفار ووصلوا نحو سير الليل بالنهار
لدا يعين ولا من تابعين وبدينه راضين وللاسلام قابلين وبالاستجداء والالتماس
لدعاتهم راغبين وباعوا انفسهم لله تعالى بين يديه مجاهدين ولثوابه محتسبين فجزاهم يوم
الدين راجيين ثم نظروا من بعده الخلفاء الراشدين والائمة المهديين ولم يزالوا
بالدعوة العباسية تثبت الله اركانها وقرن بالخلود سلطانها ولدعاتها مجيبين
وكلمتها معلنين آخذين طوى على ذلك الاعمار منهم السلف بعد السلف واخذ
بحميد اثرها منهم الخلف بعد الخلف حتى ظهر ذلك الملعون الصابي ابو سعيد
الجنابي فشهر الدعوة القرمطية وبدّل الشريعة الحنيفية واستغوى من شايعه
واستهوى الذي لطاعته وبايعه ومال بهم عن الطريقة الاسلامية بالزخاريف
الكاذبة اليزخية واستزّت بالفئة الباغية شوكته وكثرت في الفرقة
فتنته وفشت فيهم نقمته فقتل الابطال واحتاج الاموال وخرب المساجد
وعطّل المنابر والمشاهد وبدّل القرآن ومال به عن طريقه في البيان والبر
وحمل داعية من الكفر والطغيان على ان جمع العدد الجم الحجاج والمصاحف التي كان
يتلون منها القرآن بموضع من جانب الاحساء يعرف بالرمادة الى الآن فضربت فيها

وفيهم النار ولم يكن لهم منهم ومن تحديه انصار ثم اخذ ولده المعروف
بابي طاهر وقصد مقصده وبلغ من الكفر غايته وامده فسار الى البلاد واوسع فيها
غاية العبث والعناد حتى هجم على بيت الله الحرام فقتل به سايرا لمجاورين ومن يتسمى
بالاسلام وسلب الكعبة نفيس ما عليها واستخرج منها ذخايرها التي كانت تجمعها وتحرمها
واقتلع الحجر الاسود مجاهرا بالكفر والعند وارادان ينصبه في كعبة بناها لنفسه
جانب القطيف المعروف بارض الخط فكان كلما اثبته في قطر منها يطيره ويظن انه قد
اخذ مستقره واقراره اصبح في اليوم الثاني مباعدا عنها ثم انه حجب الدعوة الى الله سبحانه في
هذه الاقطار للشهادة بربوبيته ووحدانيته والاقرار واوهم من والاه من حفدة
حزب الشيطان وتابعه من اولي الغي والطغيان انه هو الله المدبر والخالق المصور
والمقدر لا آله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون وسيرتهم اعني القرامطة في البحرين وتعالى
كورا كثر من اصر اقلها قدرا وان ابلغ منها عمرا وكانوا على هذه السنة المشومة
سنين وبها آخذين والمسلمين ظهر انهم يقاسي الامتحان والذل والاستهان ولم
يفز بالبحرين من يتعلق بالدين ويتمسك بعرى الحق المبين صابرا على كثرة الاذى يسأل
الله تعالى اماطة البلاء غير اهل هذه الجزيرة المعروفة باوال يرفعون طامي شرهم
وداعي اذاهم وضرهم بالتي هي احسن وان لم يكن في ذلك يستلان ويستطون وكانت

الاثم

الايام تنطوي وتمضي والسنون تتدرج وتنقضي والقرطي في قوة من مملكته وشدة من
سلطنته متمكنا من اعراضه وطلبته نحو مايه واربعين سنة منذ ملك هذه الجزيرة
بفرعنته آمنا في ذلك كله من مقاوم يزاحمه ومضاد يضاده وكل ما راى راسا
ذا حال وجاه ومال تتوسم فيه امارة السهامة ويدل على سمة الصرامة والزعامة
قتله وبالهلاك بدره وعاجله حتى لان حبل دولته واضطرب ووهى ركن مملكتهم كثرة
سئمهم الاطماع في الارواح والاموال واستصفاء الاملاك والاحوال وكنت راصد الوقت
الذي حينه اغمز قناتهم وافرغ عند اوانه واباينه صفاتهم فنهضت بمنتضعا الذب
العباسية والدعوة الهاشمية ادامها الله ما دام الديموم وزهرت النجوم وناصرا
لدين الله تعالى ومفيدا ما طمس من شرعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعثت الى من بهذه الجزيرة المعمورة من ولد عبد القيس اعزهم الله على
الظاهر والناصر في ذات الله وطلبا لما عند الله وما عند الله خير للابرار
فحوكم داعين مطيعين والى دعائي مبادرين وطوعا من كان بيننا من ولاة القرا
بعد خذلهم ومن يقول بقولهم ويتمذهب بمذهبهم ولم يبق بهذه الجزيرة حما
تعالى ناظر بلي امرها ولا آمر ولا ناهٍ يدبرها وتصورت بها ان لا اعتالهم عن
بلي امرهم ويسدد لما فيه استقامتهم وصلاح امورهم وتحققوا انني انهض الاكفاء وبا

وبالاعباء واقومهم طريقة الى تهذيب الآراء واكثرهم طلاقة واوفرهم ديانة وعفة
واعرفهم بمصادر التهذيب وابصرهم بموارد التصعيد والتصويب فاجمع رايهم على
ترقيتي درجة الامارة وربتها وتقليدي امور الايالة وكلفتها فامتنعت من قبولها
وتابيت وانقضت فاكثروا ترداده الي وعقدوا اخاصرهم علي فالتزمتها بعد عهود
اليهم عددتها وعقود وثيقة عليها عددتها انهم يبذلون الارواح في سبيل الله ومجاهدة
القرامطة اعداء الله هي مستنصرين طاعة الدولة العباسية والكلمة المباركة الهاشمية
متوخاة اعمارهم ومنتهى اجالهم وتكون طريقتهم الطاعة ومذهبهم السنة والجماعة مذهب
الامام ابو حنيفة به يعرفون وعليه يحيون ويموتون مستبصرا فيما اعتمدته وتوخيته وعليه
صحة نيتي ومحض عقيدتي طويته بالله تعالى واتقائه بحسن المعونة على ما اولانيه وجعل
الي فيما انابه فتحولت الى دار الامارة ومكان الايالة والاصالة واقيم لسيدنا ومولانا
امام القائم بامر الله امير المومنين اطال الله بقاه واعلا كلمته وثبت دولته في المسجد الجامع
الخطبة على العادة المعروفة ثم لي بعده اذ لا جامع في هذه الاقطار كلها مع عرضها
طولها ان ذكر فيه اسم الله الا هو ويقام الصلوات فيه سواه وبجردت لهيجا المناصبة القرامطة
خذلهم الله ومحاربتهم في ذات الله فوردت الي طرف من اطراف مملكتهم يعرف بالعقير وهو
دهليز الاحساء ومصب الخيرات منه اليها وكثرة الارتفاعات التي جعل الاعتماد عليها فحزته
بالحصن

بالحصيص الاسفل الحفنة وقطعت المادة عنهم وضيقت فجاج ما كان يتسع لهم وعليهم و
حسمت مراد ارتفاعا بها دونها وعلقت بالمدد الاوفى والعدد الاكفى والكماة الالجاد والحماة
الالجاد الى ناحية الخط وتعرف بالقطيف وقد حصل بها صنم من اصنامهم وهو بصنم وزرا
يعرف بابن سبر خذله الله وخذل اشياعه واباد انصاره واتباعه فقتل عدة وافيدة من رجاله
اوتبع بخيل من الاعراب بجعلها بيني وبينه كالحجاب في حواليه ان تحميه من ان يحصل بيني
وتحبث اصيله واجتهدت في اجتذاب مراكب كان اعدها للعبور فيها اليها والانضا
بها علينا ولم يبلغ ما تمناه فينا ابدا ان شاء الله فمانع عنها بهذه الخيل ودافع بها دونها
ولو كان لاهل هذه الجزيرة حماها الله مكنة او في ايديهم من المال فسحة لاكفت من صنم
ما ارضى من الاعراب وسددت بذلك بيننا وبينهم الابواب ونزلت القرامطة بالهوادي
والاعالي والعوادم والخوافي لانهم بهم يطرون وبمكانهم يعتزون وعن بابهم يفترون بل
جعل ما فيها من الارتفاعات بلغة ساكنيها وقاطنيها وقت الادراك ولو فيض
لنا مرتبا برا بنا ومساعدا ايانا عن نا بمال تنفقه لوجه الله تعالى او زكاة يصرفها
رغبة فيما عند الله لحططت بها وزار هذه الكفرة واطت بقوته اصار القرامطة
ولا رضيت الاعراب المطيفين بهم المفرقين حول بابهم وسرت الى الاحساء باللحناد وزر
والصناديد والابطال ولكنها واحويتها بالمنازلة والقتال ولكان ذلك اقرب لزلة

الى الله تعالى وافضل عنده مما تتقرب به اليه مجاهدي الروم فبالله الذي لا اله الا هو
بمنابره وقسما حقا الجهاد القرامطة وقتالهم افضل من سواهم وان رشقا واحدا يرمى به في
وجوههم وسهما مرسلا يصل الى رجل من عديدهم لاير من سبعين سهما يرمى في الهند والروم
من ذوي الدين المذموم وفيهم تقدم القول شعرا

وحرموا الصلوات الخمس في هجر والكفر ينزل والايمان يرتحل
وغير حرام ان يباح لمعشر وقال آخر غيره اغاروا على البيت الحرام حريم
فهل طايفة احق بالمساعدة واولى بالمرافدة والمعاونة والمكاتبة بالركوات والاموال
العدة للمثوبات من هذه الطايفة المرابطة لهؤلاء القرامطة وقد تحمل الاموال الجمة الى
الرباطات وساير الثغور يطلب بها وجه الله تعالى والنصرة على عدوه وهذا والله هو
الغزو الاعظم ومساعدته بما فوق المكنة اوقدرها آثر واجسم من انفق فيه الفرد من
ماله اصاب به عند الله الفايدة واجل المغنم وقد اكدت عند الله الذرايع ساعدني
بما انويه المقدور وكفيت هؤلاء الاعراب واقتدرت لهم على الارضاء والاستجلاب
وملكت بتوفيق الله وعزته الاحساء وفطيت ارضها وحويت طولها وعرضها وخربت
قصور القرامطة التي اسست على الكفر الصراح وعمروها بطاعة الشيطان في الاساء و
الاصباح واستبدلت بها جوامع ومنابر وابتنيت فيها مشاهد ومنابر وشيدتها بذكر الله
تعالى

تعالى واوضحت للحاج الى بيت الله الحرام السبيل واقيم لهم على ذلك اكرم شاهد ودليل واظهرت
الشريعة الاسلامية واعلنت منارها واوضحت في الايام والانام انوارها وصرفت الاهتمام
الى افتتاح البلاد التي يظهرني الله عليها ويوصلني ببركة طاعة سيدنا ومولانا الامام
القايم بامر الله امير المومنين ثبت الله دعوته واعلى كلمته اليا كنت للدولة العباسية
ثبتها الله والدعوة النبوية ادامها الله عبدا مطيعا وحامدا من عنا سميعا وقصد
حزب سعودها وليف كتيف جنودها وخافق بنودها الشراة الخوارج بارض عمار ومردة
الشيطان الداعين الى امامتهم نصبوه واخذوا اما اخذه واتبعوه ولم يغادروا اماما
بعده الا كفروه واطرحوه ونبذوه فاقتل عشية الله وعونه محاربهم وازيلهم عن
مراتبهم وازعجهم من جوانبهم حتى يفيوا الى طاعة سيدنا ومولانا الامام القايم بامر الله امير المو
منين
ادام الله ايامه وانفذ في الورى احكامه ويأخذوا استنها ويسلكوا سبيلها ولازال
الجهاد في طاعته ومتقبل الجهل لاشادة دعوة دولته حتى ينقل اجلى المكثر
نياط نفسي المحدود المحسوب وانهيت هذه الاحوال المجددت والاسباب
الى حضرت سيدنا الاجل السيد الاوحد ادام بسطته وهي من اشارة السارة للقلوب
للارادة والمحبوب لياخذ حظه من الابتهاج والاحتفال بمكانها لاسيما فيما اسعد الله تعالى
بلطفه في ايام سيدنا ومولانا الامام القايم بامر الله امير المومنين اطال الله في العز الدايم بقاءه

ونصر جنده ولواه وكبت حسدته وعداه وقد مضت لهذه الدولة القرمطية المشئومة مائة
واحدى وسبعون سنة على عهد من سلف من الائمة وولاة العهد من الخلفاء الفاطمية ولم يبق
احد من الملوك الماضية الارام مملكة من مما لك هؤلاء القرامطة فعز عليها مطلبها ولم يكن
لها مستصعبها وقد مكنني الله تعالى من بعض مملكتهم ولو تطول علي بالمساعدة والمؤازرة والمدد
من ذلك المقام الاشرف النبوي الاعظم نوره الله بانفاذه الى مسامع القراءة من مواضع الاسلام
بالمبادرة اليناء والاجماع لنصرتنا وصلة جناحنا من جهة برجع الحال وسلاح اوعدد يلتمسا
لنا وما يتقوى من الرجال وينتهل من المال لوقع الاستظهار بهم والقوة بمكانهم لتغلب الماموله وادركت
السؤل بعد لا يكون علينا طاعة ملتزمة الا لسيدنا ومولانا الامام القايم بامر الله امير المؤمنين
اطال الله بقاءه ونصر لواءه دون من سواه من ولاة عهده وقايد جنده وانصبت هذه الجملة الى
اناملها ومباشرها وممارسها الى حضرته ادام الله علوها للتعجم على الله شانه بالوقوف عليها
والمام بانهائها الى هذا المقام الاشرف النبوي نوره الله وعظمه وتشريفي بالجواب الذي ادفع
به مقدمة النوايب واكشف بمكانه فورة الحوادث واتقدم بشرفه في الانام واتيمن بيمنه
عند الخاص والعام وقد شافهت الشيخ الجليل ابا يعلى طاهر ابن علي الرحبي ادام الله تاييده وسلمه
لما يريده بعالي حضرته وعند المنزلة بسامي مسدته لمشاهدته بهذا المكان ما شاهده من محاسن
وحسن طاعتي ولزامه دام عاليا في امتثاله واسبقامه تشريفي بالجواب عنه بما يقتضي عطفي ورفع

طرفي واستخدامي بالاوامر النامية والمراسم العالية التي انتهى اليها وابتهج بالسعي فيها من بين الندى والجلال ان شاء الله وقد تجرد بعد الفراغ من الخزمة ما انتهيته على وجه الاختصار وذلك

ان الملعون ابن سنبر خذله الله جمع رجاله وحشد به واشياعه وفرقته في العدد الكثير والجم الغفير وشحنهم الدوانيح والمراكب وساروا بهم يريدون قتالي وهلات رجالي فاستقبلته بحيوش الله ذي الدين وصحت اليقين وهجمت عليهم في البحر فقتلت منهم اكثرهم وغرقت اوائلهم وغنم اصحاب نصر الله ما كان عندهم من عدة وعباد وسلاح وخيل واقلت هو من تحت القبضة هاربا بنفسه واتى القتل والاسر على وجوه جنده وزعماء رجاله لعنهم الله وطالعت بذلك ليتم بالوقوف عليهم ويرى بصايب الراى العالي امداده بما اسبن بقوته الى الاحساء بمشية الله وعونه ان شاء الله وهو حسبي ونعم الوكيل وصلواته على خير خلقه محمد صلى الله عليه

من ذا يقاس بعبد الله يوم وغى في باسه او يبارى جوده كرما

المبارات المعارضة وعبد الله هو عبد الله ابن علي الذي قام على القرامطة

منا الذي جاد بالنفس الخطيرة في غر العشيرة حتى استرجل العجما

يعني علي ابن عبد الله بن ابنه الكبير وذلك ان الاعاجم الذين جاءوا يطلبون بدم النقرة اقاموا يحاصرون عبد الله بن علي ومن معه في قصر الامارة حولا كاملا واعانهم اكثر اهل البلاد فلما تيقنوا انهم لا يقدرون على القصر راسلوا عبد الله بن علي في الصلح على ان يعود

الإحالات و المصادر والمراجع

(*) قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

(١) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري. أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ١، ص١٣٣.

(٢) عبداللطيف بن ناصر الحميدان. إمارة العصفوريين ودورها السياسي في شرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٥، سنة ١٩٧٩م، ص٧٠.

(٣) المرجع السابق،ص٧٠ - ٧١. ويعد الدكتور عبداللطيف بن ناصر الحميدان من أبرز من اهتموا بتاريخ بلاد البحرين خلال تلك الحقبة الغامضة، وقد كتب عنها دراسات معمقة متميزة، تناولت إمارة العصفوريين، والدولة الجبرية، وإمارة آل شبيب وغيرها.

(٤) ياقوت،شهاب الدين الحموي. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ١، ص٣٤٦-٣٤٧؛الحميري، محمد بن عبد المنعم،الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص٨٢.

(٥) عبد اللطيف الحميدان. إمارة العصفوريين، ص٧٣.

(٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،جـ٤، ص٩١؛ القلقشندي، أحمد بن علي. قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان؛ تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص١١٩.

(٧) ياقوت. معجم البلدان، جـ١، ص١١٢، جـ٣ ص١١٨؛ حمد الجاسر.. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية، البحرين قديماً، دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، جـ٢ ص٨٣٩، جـ٣، ص١٢٠٨.

(٨) عبد اللطيف الحميدان. إمارة العصفوريين، ص٧١-٧٢.

(٩) الحربي، إبراهيم بن إسحاق، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر،دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٦٢٠؛ عبد الرحمن آل ملا. تاريخ هجر، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، جـ١، ص٣٦.

(١٠) الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، بلاد العرب؛ تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة للنشر، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٣٤٣-٣٤٧؛ عبد الرحمن المديرس. الدولة العيونية في البحرين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص٤٢-٤٣.

(١١) المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جـ١، ص١١٠؛ إبراهيم البلوشي. بلاد البحرين في العصر العباسي الثاني، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص٤١.

(١٢) ناصر خسرو. سفرنامة؛ ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٤٣.

(١٣) المسعودي، علي بن الحسين. التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١م، ص٣٥٦؛البكرى، عبد الله بن عبد العزيز. معجم ما استعجم؛ تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ١، ص٨١-٨٢؛ عبد الرحمن آل ملا. تاريخ هجر، جـ١، ص٣٣.

(١٤) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، المطبعة الحسينية، القاهرة، (ب.ت)، جـ١١، ص٣٦٤.

(١٥) المسعودي. التنبية الإشراف، ص٣٥٧؛ الصابى، ثابت بن سنان. تاريخ أخبار القرامطة؛ تحقيق سهيل زكار، ضمن كتاب الجامع في أخبار القرامطة، دار حسان، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٩٤.

(١٦) ناصر الزامل. قرامطة البحرين دعوتهم ودولتهم،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٠٣هـ، ص٥٣، ٢٦٧.

(١٧) ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون جـ٦، ص١٣؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص١١٩.

(١٨) أبوعبد الرحمن بن عقيل الظاهري. أنساب الأسرة الحاكمة في الاحساء، دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ١، ص١٦٠؛ عبداللطيف الحميدان. إمارة العصفوريين، ص٧٦.

(١٩) الحربي. كتاب المناسك، ص٦٢٠.

(٢٠) الهمذاني. عبدالجبار بن أحمد، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبدالكريم عثمان، دار العربية، بيروت، (ب.ت)، ج٢، ص٣٨٠.

(٢١) المسعودي. علي بن الحسين. التنبيه الإشراف، ص٣٥٦.

(٢٢) الزارة: مدينة تقع إلى الشمال الغربي من القطيف على بعد خمسة أكيال منها، كانت من أكبر مدن ساحل بلاد البحرين حتى خربها القرامطة. وموقعها يدخل ضمن بلدة العوامية المعروفة (عبدالرحمن العبيد. الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٩ – ١٠).

(٢٣) المسعودي. التنبيه والإشـراف، ص٣٥٦؛ محمد آل عبدالقادر الأحسائي. تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٨٥.

(٢٤) هجر. مدينة كبيرة في إقليم البحرين، وكانت قاعدة الإقليم قبل ظهور القرامطة، وكانت ناحية البحرين كلها يطلق عليها أحياناً هجر (ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص٣٤٠)، وموقعها يدخل ضمن واحة الأحساء حالياً.

(٢٥) جواثا: بلدة بالبحرين، قريبة من مدينة هجر، وهي أول موضع أقيمت فيه صـلاة الجمعة بعد مسجد رسـول الله ﷺ (البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، الحديث رقم ٨٥٢؛ ياقوت. معجم البلدانجـ٢، ص١٧٤). وموقعها لا يزال معروفاً وبه بقايا آثار مسجد جواثا المشهور.

(٢٦) مجهول.. ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، تحقيق أحمد الخطيب، مؤسسة جائزة البابطين، الكويت ٢٠٠٢م، ج٢، ص١١٤٤-١١٤٥؛ حمد بن محمد بن لعبون. تاريخ ابن لعبون، مكتبة المعارف، الطائف، ١٤٠٨هـ، ص٦٠-٦١.

(٢٧) مجهول. ديوان ابن المقرب وشرحه، جـ٢ ص٩٠٦.

(٢٨) المصدر السابق، ج٢، ص١١٤٤.

(٢٩) الحظار: ما أحاط بالشيء، ومنه حظار الإبل وهو حظيرة تعمل للإبل من الخشب والقصب (ابن منظور، لسان العرب ج٤، ص٢٠٣).

(٣٠) الأزهري، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جـ١، ص٣٧٦.

(٣١) ابن حوقل، محمد بن علي. صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م،

ص٣٣؛ عبدالله بن محمد السيف. النشاط الزراعي في الجزيرة العربية في العصر العباسي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص٦١-٦٢.

(٣٢) الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار، ص٦٣.

(٣٣) عبد اللطيف الحميدان. إمارة العصفوريين، ص٧٣.

(٣٤) الطبري. تاريخ الأمم والملوك، جـ١١، ص١٢،٢١؛ ابن الأثير. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، جـ٧، ص١٩، ٢٧.

(٣٥) عبداللطيف الحميدان. إمارة العصفوريين، ص٧٨.

(٣٦) تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٩١.

(٣٧) الصابي، هلال بن المحسن. ذيل تاريخ أخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، ضمن كتاب الجامع في أخبار القرامطة، دار حسان، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٢٣٩.

(٣٨) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ، جـ٧، ص١٢٦-١٢٧. وصمصام الدولة: هو أبو كاليجار صمصام الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي. تولى إمارة البويهيين بعد وفاة والده سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، ودخل في منافسات مع أخيه شرف الدولة حتى استقرت له الأمور سنة ٣٧٩/٩٨٩م، واستمر حتى وفاته سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م (ابن الأثير، الكامل جـ٩، ص١٤٢).

(٣٩) الكامل، جـ٩، ص٤٣.

(٤٠) القلقشندي. قلائد الجمان، ص١٢١.

(٤١) أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ج١، ص١٣٣.

(٤٢) المرجع السابق، ج١، ص١٤١.

(٤٣) تثبيت دلائل النبوة، ج٢، ص٦٠٩.

(٤٤) المنتظم، ج٧، ص٢٢٧، ٢٩٣.

(٤٥) الكامل، ج٩، ص٥٨، ١٨٢، ٣١٣.

(٤٦) تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٩١، ١٠١.

(٤٧) لم يبين ابن خلدون إلى أي قبيلة ينتمي بنو ثعلب، ونسبة الأصيفر إلى بني ثعلب هي محل نظر وتحتاج إلى بحث.

(٤٨) ابن فهد، نجم الدين عمر. إتحاف الورى بأخبار أم القرى؛ تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص٤٢١.

(٤٩) الجزيري، عبد القادر بن محمد. الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحجاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر،دار اليمامة للنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ١، ص٥٢٩-٥٣٠.

(٥٠) ابن الجوي. المنتظم، ج٧، ص١٧٠، ١٧٤؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية؛ تحقيق عبدا لله التركي، دار هجر، ١٤١٩هـ، جـ١٥، ص٤٤٤، ٤٤٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، (ب.ت)، ج٤، ص١٦٩، ٢٠٧، ٢٢٠.

(٥١) ابن الأثير. الكامل، جـ٩، ص١٠٥؛ الفاسي، محمد بن أحمد. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام؛ تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٢، ص٣٥٥.

(٥٢) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٤، ص٤٦٠.

(٥٣) ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٠٤،٩١.

(٥٤) محمد آل عبد القادر الأحسائي. تحفة المستفيد، ج١، ص٩٧.

(٥٥) إبراهيم البلوشي. بلاد البحرين في العصر العباسي الثاني، ص١٤١.

(٥٦) الكامل، ج٩، ص٥٨-٥٩.

(٥٧) النويري، أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب؛ تحقيق محمد جابر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، جـ٢٥، ص٣١٧.

(٥٨) الهمذاني. تثبيت دلائل النبوة، ج٢، ص٣٩٥؛ ناصر الزامل. قرامطة البحرين، ص٤٦١.

(٥٩) ابن الأثير. الكامل، حـ٩، ص١٠٥؛ الفاسي. شفاء الغرام، ج٢، ص٣٥٥.

(٦٠) ابن فهد. إتحاف الورى، ج٢، ص٤٢١؛ الجزيري. الدرر الفرائد، جـ١، ص٥٢٦.

(٦١) ابن الجوزي. المنتظم، ج٧، ص١٧٠.

(٦٢) الجزيري. الدرر الفرائد، ج١، ص٥٣٠.

(٦٣) ابن الجوزي. المنتظم، ج٧، ص٧٤؛ ابن الأثير. الكامل ج٩، ص١٠٥؛ ابن فهد. إتحاف الوري، ج٢، ص٤٢٣.

(٦٤) بدر الدين حسنويه بن حسين الكردي. تولى إمارة الجبل بناحية الدينور وهمذان، وكان رجلاً صالحاً كثير الإحسان والنفقة. توفي سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م (ابن الجوزي. المنتظم ج٧، ص١٧٨، ١٩٣؛ ابن الأثير. الكامل، ج٩، ص٢٤٨).

(٦٥) ابن فهد. إتحاف الورى، ج٢، ص٤٢٤؛ الجزيري. الدرر الفرائد، ج١، ص٥٣٣.

(٦٦) ابن فهد. إتحاف الورى، ج٢، ص٤٢٤، ٤٢٦؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٥٣٣.

(٦٧) الجزيري. الدرر الفرائد ج١، ص٥٣٣، ٥٣٦؛ ابن فهد. إتحاف الورى، ج٢، ص٤٣٢.

(٦٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٤، ص٢١٠.

(٦٩) المصدر السابق، ج٤، ص١٦٩، ٢٢٠.

(٧٠) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء ج١، ص١٣٩،١٣٧.

(٧١) محمد بن علي التاجر. عقد اللآل في تاريخ أوال، مؤسسة الأيام، البحرين، ١٩٩٤م، ص٨٧.

(٧٢) محمد محمود خليل. تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٦٤.

(٧٣) تثبيت دلائل النبوة، ج٢، ص٦٠٩.

(٧٤) لم أجد له ترجمة فيما أطلعت عليه من مصادر.

(٧٥) تثبيت دلائل النبوة ج٢، ص٦٠٩.

(٧٦) سبق التعريف به.

(٧٧) تاريخ ابن خلدون ج٤، ص٩١.

(٧٨) هكذا وردت والصواب الأصيفر.

(٧٩) تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٩١.

(٨٠) رأس عين: وتسمى أيضاً عين الوردة: مدينة وريف ببلاد الجزيرة الفراتية قرب نصيبين (الحميري، الروض المعطار، ص٢٦٤).

(٨١) هكذا وردت والصواب نصر الدولة. ونصر الدولة هو أحمد بن مروان الكردي، يعد من أبرز أمراء دولة بني مروان في ميافارقين وديار بكر. تولى الإمارة سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م واستمر فيها حتى توفي سنة ٤٥٣هـ/١٠١٦م، وكان محمود السيرة (ابن الأثير. الكامل، ج١٠، ص١٧-١٨).

(٨٢) تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٩١.

(٨٣) ممن أخذ بما ورد عند ابن خلدون، وقال بأن دولة القرامطة سقطت سنة

٣٩٨هـ على يد الأصيفر: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري. أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، ج١، ص١٤١؛ ناصر بن جوهر الخيري. قلائد النحرين في تاريخ البحرين، مؤسسة الأيام للنشر، البحرين، ص١٢٧ – ١٢٨؛ محمد محمود خليل. تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية، ص٤٤، ٤٩؛ محمد جمال الدين سرور. النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٤٧ – ٤٨.

(٨٤) ابن الجوزي. المنتظم، ج٧، ص١٥٦، ٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٧٩ – ٨٠.

(٨٥) سفرنامة؛ ترجمة الخشاب، ص١٤٢-١٤٥.

(٨٦) ذيل تاريخ أخبار القرامطة؛ تحقيق سهيل زكار، ضمن كتاب الجامع في أخبار القرامطة، ص٢٤٤.

(٨٧) مجهول.. ديوان ابن المقرب وشرحه، ج٢، ص٩١٠، ٩١٨.

(٨٨) رسالة أبي البهلول إلى ديوان الخلافة ورد نصها في نسخة مخطوطة من شرح ديوان ابن المقرب، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة برلين الوطنية برقم ١٩٨، ولذلك عرفت عند الباحثين بالنسخة البرلينية، ويوجد صورة من نص رسالة أبي البهلول في ملحق البحث، مصورة من النسخة البرلينية. وقد تم الحصول عليها من الأستاذ عبدالخالق الجنبي، وهو من الباحثين المهتمين بتاريخ المنطقة ومصادره، فله الشكر.

(٨٩) شرح ديوان ابن المقرب، النسخة البرلينية، نص كتاب أبي البهلول؛ وانظر ملحق البحث.

(٩٠) تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٩١ – ٩٢.

(٩١) المصدر السابق، ج٦، ص١٩، ٧٢.

(٩٢) ابن الجوزي. المنتظم، ج٧، ص٢٩٣؛ ابن الأثير. الكامل، ج٩، ص٣١٣؛ الذهبي. تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص٢٤؛ ابن كثير. البداية والنهاية، ج١٥، ص٥٨٠.

(٩٣) تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٩١.

(٩٤) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جرادة. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت (ب. ت)، ج١، ص٦٩٨ – ٧٠٠. ووردت هذه المعلومات في كتاب "زبدة الحلب في تاريخ حلب" للمؤلف نفسه؛ تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١١١.

(٩٥) الكامل، ج٩، ص٤٥٠ – ٥٤١.

(٩٦) محمد محمود خليل. تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية، ص٤٤ – ٤٦.

(٩٧) المرجع السابق، ص٦٥، ٧٥ – ٧٦.

(٩٨) سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، ص١٤٢ – ١٤٣. ويؤكد هذا قول ابن المقرب العيوني:

وما بنوا مسجداً لله نعرفه بل كلما أدركوه قائماً هدما

(٩٩) جاء في ترجمة أحمد بن خالد البدلي لكتاب سفرنامة قول ناصر خسرو: "وعندما كنت في الأحساء جاء إليها أحد أمراء الأعراب وحاصرها" (طبعة جامعة الملك سعود،الرياض،١٤٠٣هـ،ص١٧٥). وهذا يفيد أن الحصار كان سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م.

(١٠٠) جاء في ترجمة البدلي: "وعندما علم الأمير أن لدي إلماماً بعلم الفلك سألني أن أرى إذا كان في استطاعته الاستيلاء على الأحساء أم لا".

(١٠١) سفرنامة، ترجمة الخشاب، ص١٤٥.

(١٠٢) ورد في الكتاب الذي أرسله أبو البهلول إلى ديوان الخلافة أنه هو وأتباعه من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أبي حنيفة (انظر: شرح ديوان ابن

المقرب، النسخة المخطوطة المحفوظة بمكتبة برلين، برقم ١٩٨؛ وصورة من هذا الكتاب كما ورد في المخطوطة في ملحق البحث).

(١٠٣) غرس النعمة الصابي، ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٢٤٤، مجهول. ديوان ابن المقرب وشرحه ج٢، ص٩٣٥.

(١٠٤) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٣٥؛ حمد الجاسر. من تاريخ جزيرة أوال (البحرين)، مجلة العرب، شوال ١٤٠١هـ، ص١٦٢.

(١٠٥) غرس النعمة الصابي، ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٢٤٤؛ مجهول. شرح ديوان ابن المقرب ج٢، ص٩٣٦.

(١٠٦) مجهول، المصدر السابق ج٢، ص٩٣٦.

(١٠٧) هو أبو الحارث أرسلان بن عبدالله البساسيري التركي، حظي بمكانة لدى الخليفة العباسي القائم بأمر الله، فجعله مقدم الأتراك ببغداد، وقلده أموراً كثيرة، لكنه ما لبث أن تمرد على الخليفة القائم وأخرجه من بغداد، وخطب فيها للخليفة المستنصر الفاطمي، وكان ذلك في أواخر سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، واستمرت الخطبة للمستنصر ببغداد سنة كاملة حتى تمكن السلطان السلجوقي طغرل بك من اقتحام بغداد،وقتل البساسيري، وإعادة الخليفة القائم إلى بغداد، وكان ذلك في أواخرسنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م. (ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان؛ تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، جـ١، ص١٩٢).

(١٠٨) غرس النعمة الصابي. المصدر السابق، ص٢٤٤-٢٤٥؛ مجهول، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣٦.

(١٠٩) مجهول، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣٦-٩٣٧.

(١١٠) لم تذكر المصادر اسم هذا الوالي.

(١١١) مجهول، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣٧.

(١١٢) لم تذكر المصادر اسم ابن أبي العريان كاملاً. ويظهر أنه من أحفاد العريان بن إبراهيم الزحاف رئيس بني مالك من عبد القيس (انظر: شرح ديوان ابن المقرب، تحقيق أحمد الخطيب، ج٢، ص١١٤٥؛ وابن لعبون، حمد بن محمد، تاريخ ابن لعبون، مكتبة المعارف، الطائف، ١٤٠٨هـ، ص٦٠).

(١١٣) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٣٧؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج٢، ص٢٥٧.

(١١٤) غرس النعمة الصابي. ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٢٤٥؛ مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٣٧.

(١١٥) غرس النعمة الصابي، المصدر السابق، ص٢٤٥، مجهول، المصدر السابق ج٢، ص٩٣٨.

(١١٦) مجهول، المصدر السابق ج٢، ص ٩٣٨؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج٢، ص٢٥٨.

(١١٧) مجهول، المصدر السابق ج٢، ص٩٣٨؛ حمد الجاسر، من تاريخ جزيرة أوال، ص١٦٥.

(١١٨) غرس النعمة الصابي، المصدر السابق، ص٢٤٥؛ مجهول، المصدر السابق ج٢، ص٩٣٩.

(١١٩) غرس النعمة الصابي.. المصدر السابق، ص٢٤٦؛ مجهول، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣٩.

(١٢٠) مجهول، شرح ديوان ابن المقرب، نسخة مكتبة برلين المخطوطة، وانظر نص كتاب أبي البهلول في ملحق هذا البحث وفيه إشارة إلى مهاجمة العقير.

(١٢١) هو أبو منصور بن عبدالملك بن يوسف الملقب بالشيخ الأجل، ولم يكن في زمانه من يلقب بهذا اللقب سواه. ولد سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، وكان فاضلاً من

أعيان الرجال مهتماً بالعلم والعلماء ونصرة أهل السنة، توفي في بغداد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م (ابن الجوزي. المنتظم ج٨، ص٢٥٠-٢٥٢؛ ابن الأثير. الكامل جـ١٠، ص٥٨).

(١٢٢) انظر نص هذا الكتاب في ملحق البحث، وهو مصور من النسخة البرلينية لشرح ديوان ابن المقرب.

(١٢٣) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، نسخة مكتبة برلين المخطوطة، وانظر نص كتاب أبي البهلول بملحق هذا البحث.

(١٢٤) المصدر السابق.

(١٢٥) المسعودي. التنبيه والإشـراف، ص٣٥٦؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج٢ ص٢٥٦.

(١٢٦) الأحسائي. تحفة المستفيد، ج١، ص٨٥-٨٦؛ محمد التاجر. عقد اللآل في تاريخ أوال، ص٨٨-٩٠.

(١٢٧) مجهول، شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٢٥.

(١٢٨) هو السلطان جلال الدين أبو الفتح ملك شاه ابن السلطان ألب أرسلان السلجوقي.. تولى السلطنة بعد أبيه سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م واستمر فيها حتى وفاته سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م (ابن خلكان. وفيات الأعيان، جـ٥، ص٢٨٣-٢٨٩).

(١٢٩) هو نظام الملك أبو علي الحسن بن علي الطوسي، يعد من أشهر وزراء السلاجقة ومن أكثرهم كفاءة. توفي سنة٤٨٥هـ/١٠٩٢ (ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج٢، ص١٢٨-١٣١).

(١٣٠) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٢٧.

(١٣١) مجهول. المصدر السابق ج٢، ص٩٢٨؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج٢، ص٢٦٣.

(١٣٢) محمد التاجر. عقد اللآل، ص٨٦.

(١٣٣) الأحسائي. تحفة المستفيد، ج١، ص٩٨؛ عبدالرحمن آل ملا. تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، مؤسسة جائزة البابطين، الكويت، ٢٠٠٢م، ص١٤٤.

(١٣٤) بلدة العيون لا تزال تعرف بالاسم نفسه، ولمعرفة المزيد عنها انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، المنطقة الشرقية، جـ٣، ص١٢٤٨؛ عبدالرحمن العبيد، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد السعودية، ج٢، ص١٤٥.

(١٣٥) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب ج٢، ص٩١٠.

(١٣٦) المصدر السابق ج٢، ص٩١٨؛ عبدالرحمن المديرس. الدولة العيونية، ص٨٦-٨٧.

(١٣٧) أرتق بك التركماني يعد من أبرز أتباع السلطان السلجوقي جلال الدولة ملك شاه، أسندت إليه عدة أعمال عسكرية وإدارية، وتوفي بالقدس سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وإليه تنسب الأسرة الأرتقية التي تمكنت من إقامة إمارات محلية في شمال بلاد الجزيرة الفراتية، عرفت بالإمارات الأرتقية (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٩١).

(١٣٨) غرس النعمة الصابي، ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٢٤٧؛ عبدالرحمن المديرس. الدولة العيونية، ص٨٨.

(١٣٩) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩١٩.

(١٤٠) غرس النعمة الصابي. المصدر السابق، ص٢٤٧؛ مجهول. المصدر السابق، ج٢، ص٩١٩.

(١٤١) مجهول. المصدر السابق، ج٢، ص٩١٩؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج٢، ص٢٦٠.

(١٤٢) تحديد تاريخ استيلاء عبدالله بن علي العيوني على مدينة الأحساء وسقوط دولة القرامطة غير متفق عليه فهناك من ذكر أنه كان سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م ، وهناك من قال إنه في سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م، وهناك من حدده بسنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م، وقد أخذنا بالقول الأخير؛ لأنه يتوافق مع تسلسل الأحداث، فالمؤرخ غرس النعمة الصابي. -هو معاصر لهذه الحقبة- ذكر أن جيش أرتق بك الذي قدم لمساعدة عبدالله بن علي العيوني وصل إلى القطيف في شعبان سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م، ثم توجه إلى الأحساء واشترك مع عبدالله بن علي في حصارها بضعة أشهر، ثم انسحب وعاد إلى بغداد وترك لعبدالله بن علي مواصلة المهمة، بعد ذلك وقعت المعركة الحاسمة مع القرامطة ودخل عبدالله بن علي الأحساء وأعلن سقوط دولة القرامطة. وتسلسل هذه الأحداث يقتضي أن تلك المعركة والاستيلاء على مدينة الأحساء لا يمكن أن يكون في سنة ٤٦٩هـ أو قبلها.

(١٤٣) مجهول. المصدر السابق، ج٢، ص٩٠٥.

(١٤٤) ناظرة: موقع كانت تقوم فيه بلدة وتحيط به كثبان رملية يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الأحساء، وبلدة ناظرة اندثرت ويقدر أن موقعها قريب من قرية المقدام المعروفة الآن (الأحسائي، تحفة المستفيد ج١، ص١٠٠؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، المنطقة الشرقية، ج٤، ص١٧١٠-١٧١١).

(١٤٥) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٣٣-٩٣٤؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج١، ص١٠٠، ج٢، ص٢٦٦.

(١٤٦) مجهول، شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٣٣-٩٣٤؛ الأحسائي. تحفة المستفيد، ج١، ص١٠٠.

(١٤٧) الخط: بفتح الخاء وطاء مشددة، يطلق على بلاد القطيف وما حولها على

ساحل الخليج العربي (حمد الجاسر، المعجم الجغرافي، ج٢ ص٦١٣).

(١٤٨) مجهول، شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٣٢-٩٣٣.

(١٤٩) مجهول. شرح ديوان ابن المقرب، ج٢، ص٩٢٣؛ الأحسائي. تحفة المستفيد ج١، ص١٠١.

(١٥٠) أحمد الخطيب. مقدمة تحقيقه لديوان ابن المقرب وشرحه، ج١، ص٢٣.